اشْتِقَاقَــاتُ الْجذْرِ {جَهِلَ}
ودَلَالَاتُهُ فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ

إعداد

د/السيد محمد علي نصر الدين

مدرس أصول اللغة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربيــة

للبنين بدسوق

(العدد الرابع والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)

اشْتِقَاقَاتُ الْجِذْر { جَهِلَ } ودَلَالَاتُهُ فِي القُرْآن الْكَرِيمِ

السيد محمد علي نصر الدين
قسم أصول اللغة- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق- جامعة الأزهر- مصر.
البريد الإلكتروني: elsyed nasraldiyn1332.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث: يرمي البحث إلى تتبع الدلالات السياقية لاشتقاقات الجذر (جهل) في النظم القرآني، ملقيا الضوء على المعاني التي ارتبط ذكرها بذكر لفظ (الجهل) في آيات الذكر الحكيم، وبيان أثرها في تحديد دلالة الاشتقاق والنص على السواء.

كما يكشف البحث النقاب عن التماسك النصي من خلال الترابط الدلالي بين لفظ (الجهل) وبقية ألفاظ وتراكيب الآية الكريمة فضلا عن علاقة الآية بالآيات السابقة عليها متى أمكن ذلك.

وقد جاءت دلالات اشتقاق الجذر (جهل) على النحو التالي:

- الجهل بمعنى: ضد الحلم.
- الجهل بمعنى: ضد الخبرة.
- الجهل بمعنى: ضد العلم.
- الجهل بمعنى: الإثم أو المعصية.
- الجهل بمعنى: الشرك.

الكلمات المفتاحية: اشتقاقات – الجذر – جهل – القرآن الكريم

Derivations of the root(ignorance) and its connotations in the Holy Quran

ALSAYED M.ALI NASR EL-DIN
Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Egypt.
Email: elsyed nasraldiyn1332.el@azhar.edu.eg

Abstract: The research aims to trace the contextual semantics of the derivations of the root" ignorance" in the Quranic syntax
; Shedding light on the meanings that were associated with mentioning the word "ignorance" in verses of the Holy Qur'an.and the statement of its impact in determining the significance of the derivation and the text alike.
The research also reveals the textual coherence through the semantic link between the word ignorance and the rest of the words and structures of the holy verse as well as the relationship of the verse with the previous verses, whenever possible.
The semantics of the derivations of the root ignorance came as follows;
-Ignorance is the opposite of patience (meek).
-Ignorance is the opposite of experience.
-Ignorance is the opposite of (learning –science education).
-Ignorance is the meaning (synonym) of sin and disobedience.
-Ignorance is the meaning (synonym) of polytheism.

Key words: Derivatives-root-ignorance-The Holy Quran

المقدمة

الحمـــد لله الـذي خلـق الإنسـان، علمـه البيـان، أرسـل رسـول الهـدى والرحمـــة محمدا بأقدس كتاب وأبلـغ بيان، والصـلاة والسلام علـى خير خلق الله أجمعين وإمام المتقين، سيدنا محمد الهادي الأمين، وعلـى آلـه وصـحابته الطيبين الطاهرين.

وبعد

فإن اللغة العربية تتميز من غيرها من اللغات بأن ألفاظها تحمل الكثير من الظلال الدلالية الهامشية، فضلا عن دلالتها المعجمية –المركزية– ولما كان النظم القرآني يضفي على الكلمة ملامح دلالية مما يجعلها تأسر القلوب وتستوقف العقول بحثا عن وجوه الإعجاز القرآني في إيثار التعبير بكلمة دون أخرى في سياق معين، فقد راقني تتبع الدلالات السياقية لاشتقاقات الجذر {جَهِلَ} في هذا البحث الموسوم بـ (**اشْتِقَاقَاتُ الْجَذْرِ { جَهِلَ } ودَلَالَاتُهُ فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ**).

هذا، وقد دفعني إلى البحث في هذا الموضوع أربعة أسباب:

١- شرف البحث في موضوع يتعلق بكتاب الله العزيز.

٢- تحديد الدلالات السياقية لاشتقاقات الجذر {جَهِلَ}.

٣- إلقاء الضوء على المعاني المذمومة التي ارتبط ذكرها بذكر لفظ الجهل في النظم القرآني، وبيان أثرها في تحديد دلالة اللفظ والنص على السواء.

٤- كشف النقاب عن التماسك النصي من خلال الترابط الدلالي بين لفظ (الجهل) وبقية ألفاظ وتراكيب الآية الكريمة، فضلا عن علاقة الآية بالآيات السابقة عليها متى أمكن ذلك.

وقد التزم البحث المنهج الوصفي التحليلي الإحصائي الذي روعي فيه الإشارة إلى النسبة المئوية لكل دلالة من دلالات اشتقاقات الجذر (جَهِل) في القرآن الكريم.

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقع في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث:

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن موضوع البحث، والدافع إليه، ومنهج البحث فيه.

وأما التمهيد: فتناول تعريف الجهل في اللغة والاصطلاح، وأنواع الجهل، وعلاقة نوعي الجهل بالعلم، وموقعية الجهل من العوارض، والحديث عن ظاهرة التماسك النصي في آيات القرآن الكريم.

المبحث الأول: الجهل ودلالته ضد الحلم.

تناولت فيه الآيات القرآنية الكريمة التي جاء فيها الجهل بمعنى: ضد الحلم.

المبحث الثاني: الجهل ودلالته ضد الخبرة.

تناولت فيه الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها الجهل بمعنى: ضد الخبرة.

المبحث الثالث: الجهل ودلالته ضد العلم.

تناولت فيه الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها الجهل بمعنى: ضد العلم.

المبحث الرابع: الجهل ودلالته الإثم.

تناولت فيه الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها الجهل بمعنى: الإثم.

المبحث الخامس: الجهل ودلالته الشرك.

تناولت فيه الآيات القرآنية الكريمة التي ورد فيها الجهل بمعنى: الشرك.

وقد دعمت هذا البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، مختتما إياه **بفهارس فنية** بيانها على الوجه التالي:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث والله من وراء القصد

التمهيد

الجهل: نقيض العلم، تقول: جهل فلان حقه، وجهل علي، وجهل بهذا الأمر، والجهالة: أن تفعل فعلا بغير علم، والجاهلية الجهلاء: زمان الفترة قبل الإسلام(١).

وفي المقاييس: الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ الْخِفَّةُ وَخِلَافُ الطُّمَأْنِينَةِ. فَالْأَوَّلُ الْجَهْلُ نَقِيضُ الْعِلْمِ. وَيُقَالُ لِلْمَفَازَةِ الَّتِي لَا عَلَمَ بِهَا مَجْهَلٌ. وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ لِلْخَشَبَةِ الَّتِي يُحَرَّكُ بِهَا الْجَمْرُ مِجْهَلٌ. وَيُقَالُ اسْتَجْهَلَتِ الرِّيحُ الْغُصْنَ، إِذَا حَرَّكَتْهُ فَاضْطَرَبَ(٢).

وهناك علاقة وثيقة بين الجهل والسفه، فقد ورد في اللسان: « السفه في الأصل: الخفة والطيش. ويقال: سفه فلان رأيه إذا جهله، وكان رأيه مضطربا لا استقامة له، والسفيه: الجاهل»(٣).

وقال أبو هلال العسكري: «السفه: نقيض الْحِكْمَة على مَا وَصفنَا، ويستعار فِي الْكَلَام الْقَبِيح فَيُقَال: سفه إِذا أسمعهُ الْقَبِيح، وَيُقَال للجاهل: سَفِيه»(٤).

فالعلاقة بين الجهل والسفه تتمثل في الخفة والاضطراب في الرأي وعدم الحكمة في اتخاذ القرار.

---

(١) العين للخليل بن أحمد تح.د/مهدي المخزومي، ود/إبراهيم السامرائي ٣٩٠/٣، (هـ ج ل)، مكتبة الهلال، دت.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارسن تح/عبد السلام محمد هارون ٤٨٩/١، (جهل)، دار الفكر ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٣) لسان العرب : لابن منظور الأنصاري، ٤٩٨/١٣، (سفه) دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تح/الشيخ بيت الله بيات ٢٧٨/١، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي بـ "قم" الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

واصطلاحا: الجهل: هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه [١].

أنواع الجهل:

أكدت كتب اللغة على أن الجهل نوعان:

أحدهما: الجهل البسيط: وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالمًا.

والآخر: الجهل المركب: وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع[٢].

سمي مركبا؛ لِأَنَّهُ تركب من جهلين جهل الْمدْرك بِمَا فِي الْوَاقِع، وجهله بِأَنَّهُ جَاهِل بِهِ كاعتقاد الفلسفي قدم الْعَالم [٣].

الفرق بين نوعي الجهل:

الْجهل الْبَسِيط يَزُول بِسُرْعَة وسهولة بالتعليم والتعريف. وَأما الْجَهْل الْمركب فَلَا يَزُول إِلَّا بصعوبة ومهلة، بل الْمَشْهُور أَن الْجَهْل الْمركب لَا يقبل العلاج[٤].

قال الآمدي: « ليس الجهل البسيط ضدا للجهل المركّب ولا الشكّ ولا الظنّ ولا النظر، بل يجامع كلا منها، لكنه يضاد النوم والغفلة والموت؛ لأنه عدم العلم ..... وأما العلم فإنه يضاد جميع هذه الأمور المذكورة » [٥].

العلاقة بين الجهل البسيط والعلم:

العلاقة بين الجهل البسيط والعلم هي علاقة التقابل، فلا يكون ضدا للعلم، بل متقابلا له تقابل العدم والملكة. ويقرب منه السهو وكأنه جهل بسيط

---

(١) التعريفات للجرجاني ص٨٠، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(٢) السابق نفسه ص ٨٠. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا بن محمد الأنصاري ص٦٧-٦٨، تح د/مازن المبارك ص٦٨، دار الفكر المعاصر بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

(٣) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا بن محمد الأنصاري ص٦٨.

(٤) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي/عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد ٢٨٨/١، باب: الجيم مع الهاء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٥) موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي التهانوي، تح د/علي دحروج ٥٩٩/١.

سببه عدم استثبات التصوّر حتى إذا نبّه الساهي أدنى تنبيه تنبّه. وكذا الغفلة والذهول والجهل البسيط بعد العلم يسمّى نسيانا [١].

قال العضد: « أصحاب الجهل البسيط كالأنعام؛ لفقدهم ما به يمتاز الإنسان عنها، بل هم أضل لتوجهها نحو كمالاتها، ويعالج بملازمة العلماء ليظهر له نقصه عند محاوراتهم »[٢].

العلاقة بين الجهل المركب والعلم:

العلاقة بينهما هي علاقة المضادة، فالجهل المركب ضد العلم؛ لصدق حد الضدين عليهما، فإن الضدين معنيان وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد وبينهما غاية الخلاف أيضا.

قالت المعتزلة: «هو مماثل للعلم، فامتناع الاجتماع بينهما للمماثلة لا للمضادة. فالجهل المركب بهذا المعنى قسم من الاعتقاد بالمعنى الأعمّ »[٣].

بين العلم والمعرفة:

العلم: هو إدراك الشيء على ما هو به، ويقال: ملكة يقتدر بها على إدراك الجزئيات [٤].أو أحكام تتكون في القلب من روافد وأسباب محددة [٥].

أما المعرفة: فهي تمييز يقوم على ملامح ظاهرة للأشياء أخذًا من استعمال التركيب في الملامح الظاهرة التي تميز الشيء عن غيره [٦].

---

(١) موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي بن القاضي التهانوي ٥٩٩/١.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرازق الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين ٢٥٦/٢٨، (جهل)، دار الهداية د ت.

(٣) موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم ٦٠٠/١.

(٤) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لزكريا بن محمد الأنصاري ص٦٦.

(٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/محمد حسن جبل ١٤٤٩/٣ (عرف)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/محمد حسن جبل ١٤٤٩/٣ (عرف).

فرق بعض العلماء بين العلم والمعرفة بأَنَّ المَعْرِفة، لابُد أَنْ يتَقَدَّمَها جَهْلٌ، بِخِلاَف العِلْمِ، ولهذا يُوصَفُ الله بأنَّه عَالِمٌ، ولا يُوصَف بأَنَّه عَارِفٌ، وأَنَّ المَعْرِفةَ تقال في حَقِّ البَهائم، فيقال: عَرَفت الدَّابة والِدَها، بِخلاف العِلْم [١].

موقعية الجهل من العوارض[٢]:

يعد الجهل واحدا من العوارض المكتسبة (ضد السماوية)[٣]. وهي العوارض التي يتصف بها الإنسان باختياره وهي سبعة: الجهلُ والسُّكر والهزل والسفه والخطأ والإكراه[٤]. ولهذا التصنيف آثاره التي ستظهر في ثنايا البحث.

ولما كان البحث يرمي إلى تتبع الدلالات السياقية لاشتقاقات الجذر (جهل) فقد راقني أن أتعرض لظاهرة التماسك النصي في آيات القرآن الكريم، والتماسك النصي هو: خاصية دلالية للخطاب تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى[٥].

(١) الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن الحنبلي، تح/رضوان مختار بن غربية ١٤٤/٢، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جده، المملكة العربية السعودية، د ت.

(٢) العارض: للشيء ما يكون محمولاً عليه خارجاً عنه، والعارضُ من الأشياء: خلافُ الأصلي، ومن الحوادث خلاف الثابت. التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، ص١٤١، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٣) أما العوارض السماوية: فهي العوارض التي تطرأ على الإنسان جبرا عنه، ولا قبل له بردها، ومن أهمها: الجنون والصِّغر. والعَتهِ والنسيان والنوم والإغماء والرقِّ والمرض والحيض والنفاس والموتِ. السابق نفسه ص١٤١. ومعجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي ص٢٢٨، دار النفائس للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

(٤) التعريفات الفقهية ص ١٤١، ومعجم لغة الفقهاء ص٢٢٨.

(٥) دلالة السياق في القصص القرآني د/محمد عبد الله علي يوسف العبيدي ص١٩٤، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، الجمهورية اليمنية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

المبحث الأول: الجهل ودلالته ضد الحلم

(١) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [١].

جاء لفظ (الجاهلين) في هذه الآية بمعنى: السفهاء. وقد أشارت كتب اللغة إلى هذا المعنى، فجاء في الإبانة: الجهلُ نقيصة يستعاذُ منها، وقد فُسر الجهلُ في قوله–عز وجل– حكاية عن موسى –عليه السلام–: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ) يعني: السفهاء الذين يسخرون ويهزؤون، والعلمُ فضيلة يُرْغَب إلى الله –تعالى– فيها، والجهلُ أقبح ما في الإنسان، والعقل أملحُ ما في الإنسان [٢].

وأرجع الدكتور /أحمد عمر مختار لفظ (الْجَاهِلِينَ) في الآية الكريمة – موضوع البحث– إلى الجفاء والسفه والحمق بقوله: « جهِل الشَّخْصُ: جفا وتسافه وحمُق وأظهر الطيشَ. "لا يستوي عالِمٌ وجهول".

ألا لا يَجهَلَنْ أحَدٌ عَلَينا فَنَجهَلَ فَوقَ جَهلِ الجاهلينَا[٣]

(قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)» [٤].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٦٧.

(٢) الإبانة في اللغة العربية، لسلمة بن مسلم العوتبي الصحارى، تح.د/عبد الكريم خليفة، و.د/نصرت عبد الرحمن وآخرين، ٣٧٧/٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، دت.

(٣) البيت من بحر الوافر، وهو لعَمْرو بْن كُلْثُوم يتوعد عمرو بن هند. ينظر: جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد ابن أبي الخطاب القرشي، تح/علي محمد البجادي ٨٧/١، دار نهضة مصر، دت.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة د/أحمد مختار عمر ٤١٣/١، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

كما ورد في المعجم الوسيط: جهل فُلَان على غَيره جهلا وجهالة: جَفا وتسافه، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: (قَالُوا أتتخذنا هزوا قَالَ أعوذ بِاللَّه أَن أكون من الْجَاهِلِينَ)[1].

وقد فطن بعض المفسرين لهذه الدلالة السياقية للفظ (الجاهلين)، فها هو الطبري يقول في تفسير لفظ الجاهلين: « يعني من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل» [2].

وقال السمرقندي: « ويقال: معاذ الله أن أكون من المستهزئين» [3].

وقال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ أي: من المستهزئين بالمؤمنين [4].

ومما لا شك فيه أن للسياق دورا كبيرا في تحديد الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِينَ). وهو ما تحقق في كلمة (هُزُوًا)، أَلا ترى أن موسى –عليه السلام– أجاب لهم عن الهزء بالجهْل، فقال: (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)؟! دل أَن الهزء في الخلق لجهلٍ فيهم[5].

وعلق الدكتور /محمد حسن جبل على قوله تعالى:(أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) بقوله: « اتخذه هُزُوا: جعله موضع استهزاء. وكل ما ورد في القرآن من التركيب – يقصد هزوا– فهو بمعنى الاستهزاء: السخرية مع استخفاف قدْر المستهزَأ

(١) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ١٤٣/١، دار الدعوة، د ت.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبري، تح/أحمد محمد شاكر ١٨٣/٢، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

(٣) بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي ٦٢/١، دت.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، تح الإمام أبي محمد بن عاشور ٢١٤/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ت.

(٥) تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تح د/مجدي باسلوم ٤٩٠/١، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

به»[1]. ومن ثم فإن دلالة لفظ (الْجَاهِلِينَ) –وهي السفهاء– مستفادة من السياق من خلال دلالة كلمة (هُزُوًا).

ولما كان الجهل يمثل نقيصة من أقبح النقائص التي يمكن أن يتصف بها الإنسان فقد تبرأ منه نبي الله موسى –عليه السلام– فقال:(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، وهذا ما يفسر اقتران ذكر الجهل بالاستعاذة في الآية الكريمة.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن معنى "الجهل " الوارد في الآية متمثلا في لفظ (الجاهلين) يندرج تحت فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا. كمن يترك الصلاة عمدا. وعلى ذلك قوله تعالى:(أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) فجعل فعل الهزو جهلا [2].

(٢) – قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ ﴾ [3].

تجسد الآية الكريمة واقع بني إسرائيل؛ إذ تحكي موقفا من مواقف تعنتهم مع نبي الله موسى –عليه السلام– ففي هذه الآية جاء لفظ (تَجْهَلُونَ) بمعنى: ضد الحلم لما في الباطن من فراغ يتمثل في السلوك بخفة وطيش وسفه، أو من جفاف يتمثل في السلوك بجفاء وغلظة [4].

حيث بَيَّنَ الله –تعالى– أَنْوَاعَ نِعَمِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ أَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وأَتْبَعَ ذَلِكَ بِالنِّعْمَةِ الْعُظْمَى وَهِيَ أَنْ جَاوَزَ بِهِمُ الْبَحْرَ

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/محمد حسن جبل ٢٣٠٢/٤ (هزأ).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محد بن يعقوب الفيروزابادي، تح/محمد علي النجار ٤٠٦/٢، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د ت. وتاج العروس ٢٥٥/٢٨ (جهل).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/محمد حسن جبل ٣٥٢/١.

مَعَ السَّلَامَةِ، ولما شَاهَدُوا قَوْمًا يَعْكُفُونَ عَلَى عِبَادَةِ أَصْنَامِهِمْ جَهِلُوا وَارْتَدُّوا وَقَالُوا لِمُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ [١].

وقد وقف بعض المفسرين على دلالات قريبة من هذه الدلالة للفعل (تَجْهَلُونَ)، فها هو الثعلبي يوضح معناه بقوله: « تجهلون عظمة الله ونعمته وحرمته» [٢].

وفسره مكي بقولـــه: « تَجْهَلُونَ نعمة الله –ﷻ– عليكم وحقـه، وتجهلون أنه لا تجوز العبادة إلا لله –سبحانه– » [٣].

وقال الواحدي: معلقا على تفسير قوله: (تَجْهَلُونَ): قال ابن عباس: «جهلتم نعمة ربكم فيما صنع بكم»[٤].

وهنا يظهر جليا دور السياق المتمثل في مناسبة الآية للآية السابقة عليها والتي أشرت إليها آنفا، وكذلك دلالة بعض المفردات والجمل في تحديد المعنى المراد من لفظ (تَجْهَلُونَ)، فقد صور النظم القرآني شدة جهل بني إسرائيل أجمل تصوير؛ إذ تسابقت جمل الآية الكريمة للنطق بهذا الحكم بدءا من قوله تعالى: (اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا)، وكان الأمر بيد موسى –عليه السلام–من تنصيب إله على غرار ما رأوه يعبد من دون الله من قبل عبدة الأصنام، ناهيك عن تعنتهم مع نبي الله موسى –عليه السلام– مرورا بقوله تعالى: (كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) الذي يصور لنا ميلهم إلى التعبد القائم على التقليد لا التفكر والتدبر، وميلهم إلى الخضوع والركون إلى الأمثال والأشكال، كما يوضح عظم جهل بني إسرائيل من توهم

(١) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن الرازي ٣٤٩/١٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي ٢٧٣/٤.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، مكي بن أبي طالب الأندلسي، تح/مجموعة رسائل جامعية ٢٥٣٠/٤، كلية الدراسات العليا، جامعة الشارقة.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تح/عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وآخرين ٤٠٣/٢، د ت.

جواز عبادة غير الله مثلما يفعل عبدة الأصنام على الرغم من ظهور دلائل وجود الله، واختصاصه إياهم بالنعم التي لم يعطها أحدا غيرهم.

وانتهاء بقوله تعالى: (تَجْهَلُونَ)، فالتعبير بصيغة المضارع ههنا يدل على التجدد والحدوث، وفي هذا إشارة إلى وصفهم بالجهل المطبق. وهو ما يبرز دور الدلالة الصرفية في تحديد الدلالة السياقية للفعل (تَجْهَلُونَ). فعلى الرغم من أنهم شاهدوا المعجزات الباهرة التي أظهرها الله –تعالى– لموسى – عليه السلام– على فرعون، ثُمَّ شَاهَدُوا أَنَّهُ –تَعَالَى– أَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ وَخَصَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْوَاعِ السَّلَامَةِ وَالْكَرَامَةِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ هَذِهِ الْمَوَاقِفِ وَالْمَقَامَاتِ يَذْكُرُونَ هَذَا الْكَلَامَ الْفَاسِدَ الْبَاطِلَ كَانُوا فِي نِهَايَةِ الْجَهْلِ وَغَايَةِ الْخِلَافِ(١).

وإذا أنعمت النظر في مناسبة الآية الكريمة للآية السابقة عليها ودلالات مفرداتها وموقعية جملها أمكنك أن تصنف (الجهل) في هذه الآية الكريمة تحت اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه (٢).

---

(٣) – قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾(٣).

تصور الآية الكريمة موقفا من مواقف تعنت المشركين مع نبي الله نوح – عليه السلام–، فقد جاء لفظ (تَجْهَلُونَ) في هذه الآية الكريمة بمعنى: تجهلون عاقبة طلبكم طرد المؤمنين وتسفيهكم إياهم ووصفهم بالأراذل؛ وذلك لأن سياق ما قبله في الآية الكريمة (وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) يؤكد هذه الدلالة السياقية.

---

(١) مفاتيح الغيب للرزي ٣٤٩/١٤.

(٢) يراجع في ذلك: أضرب الجهل في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ٤٠٦/٢، المكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

(٣) سورة هود الآية: ٢٩.

حيث أخبر الله –تعالى– عن شفقة نبي الله نوح –عليه السلام– بقومه إذ لم يسألهم مالا على تبليغ رسالة ربه راجيا ثواب دعوتهم إلى الإيمان بالله من الله –عز وجل– ممتنعا من تنفيذ طلب المشركين وهو طرد الفقراء والضعفاء من المؤمنين.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية للفظ (تَجْهَلُونَ)، ففي جامع البيان قال الطبري معلقا على الفعل: « أي تجهلونَ الواجبَ عليكم من حقّ الله، واللازم لكم من فرائضه»(١).

وفسره الماتريدي بقوله: « وقوله – عز وجل–: (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) يحتمل تجهلون ما أدعوكم إليه أو تجهلون في قولكم: إنهم إنما آمنوا واتبعوا في ظاهر الحال، وأما في السر فلا، أو تجهلون ما يلحقني في طردهم» (٢).

وقال السمرقندي: « تَجْهَلُونَ ما أمرتكم به وما جئتكم به » (٣).

وفسر الزمخشري الفعل (تَجْهَلُونَ) بقوله: «تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل ... أو تجهلون بلقاء ربكم. أو تجهلون أنهم خير منكم»(٤).

إلا أن السياق كان له أثر كبير في تحديد الدلالة السياقية للفعل تجهلون، وهي تجهلون عاقبة طلبكم بطرد المؤمنين وتسفيهكم إياهم ووصفهم بالأراذل. فهذه الدلالة مستفادة من موقعية بعض جمل الآية الكريمة السابقة عليه ودلالتها. بدءا من قوله تعالى: (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا)، فقد صور النظم القرآني تعنت المشركين من قوم نوح –عليه السلام–عندما طلبوا من نبي الله طرد

(١) جامع البيان للطبري ٣٠١/١٥.

(٢) تأويلات أهل السنة ١٢٣/٦.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي ١٤٧/٢.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٣٩٠/٢. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

الضعفاء الذين بادروا إلى الإيمان به نظير ما اقترحت قريش على رسول الله -ﷺ- بطرد أتباعه بمكة الذين لم يكونوا من قريش [١].

مرورا بقوله تعالى:(إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ)؛ حيث بين الله -سبحانه وتعالى- سبب امتناع نبيه نوح -عليه السلام- من تنفيذ طلب قومه بطرد المؤمنين بقوله: (إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ)، إنهم ملاقوا ما وعدهم ربهم، فإن طردتهم استخصموني في الآخرة[٢]. مما يدل على سفههم وجهلهم المطبق، ناهيك عن تعنتهم الواضح، وانتهاء بقوله تعالى: (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) الذي يبين أنهم يبنون أمرهم على الجهل بالعواقب والاغترار بالظواهر[٣]. وهو ما يصور حالتهم من السفه والحمق والطيش. مما يؤكد الدلالة السياقية للفعل (تَجْهَلُونَ) التي قد أشرت إليها.

---

(٤) قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[٤].

جاءت الآية الكريمة في سياق توضيح صفات المؤمنين وإبراز الصفات والخصائص التي من تحقق بها كان من عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، والذين لا يتبعون خطوات الشيطان، وهم الذين استجابوا للرسول والقرآن واستحقوا التبشير [٥].

وقد اختلفت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلُونَ) في الآية الكريمة، **فحمل فريق منهم** الجهل في لفظ (الْجَاهِلُونَ) على حقيقته،

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح/عبد السلام عبد الشافي محمد ١٦٥/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣٣٩/١٧.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٣٣٩/١٧.

(٤) سورة الفرقان الآية: ٦٣.

(٥) الأساس في التفسير لسعيد حوى النعيمي ٣٨٨٢/٧، دار السلام، القاهرة، ط٦، ١٤٢٤هـ.

فقد قال الطبري: « وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ بِاللَّهِ بِمَا يَكْرَهُونَهُ مِنَ الْقَوْلِ أَجَابُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ مِنَ الْقَوْلِ وَالسَّدَادِ مِنَ الْخِطَابِ» (١).

وتابعه في ذلك السمرقندي(ت:٣٧٣هـ) في قوله: تعليقا على قوله تعالى: (خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ): «يعني: كلمهم الجاهلون بالجهل، قالُوا سَلاماً يعني: سداداً من القول»(٢). وهذا ما أكده الثعلبي(ت:٤٢٧هـ)(٣).

بينما أرجع الفريق الثاني معنى الجهل في الآية متمثلا في لفظ (الْجَاهِلُونَ) إلى الشرك.

فقد ذكر يحيى بن سلام عن الحسن أنه قال: « مدح الله المؤمنين وذم المشركين، فقال: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وإذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا) أي: حُلَمَاءَ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ لَسْتُمْ بِحُلَمَاءَ » (٤).

وهذا ما نلاحظه في زاد المسير، فقد جاء فيه: زعم قوم أن المراد بها: أنهم يقولون للكفار: ليس بيننا وبينكم غير السلام، ثم نُسخت بآية السيف(٥).

أما الفريق الثالث فقد تردد في تحديد الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلُونَ) ما بين الكفار والسفهاء.

---

(١) جامع البيان ٢٩٥/١٩.

(٢) بحر العلوم ٥٤٤/٢.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ١٤٥/٧.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، تح.د/هند شلبي٤٨٩/١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م. وينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، تح/أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز ٢٦٦/٣، مكتبة الفاروق الحديثة، القاهرة ، مصر.

(٥) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، تح/عبد الرزاق المهدي ٣٢٧/٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

فها هو الماوردي يفسر لفظ (الْجَاهِلُونَ) بقوله: « فيهم قولان: أحدهما: أنهم الكفار، والآخر*: السفهاء » (١).

وتابعه في ذلك العز بن عبد السلام فقد قال: الجاهلون: الكفار، أو السفهاء(٢).

إلا أن اللافت للنظر هو اقتصار بعضهم على تفسير لفظ (الجاهلون) بالسفهاء مثل الواحدي(٣)، والبغوي (٤).

وبإنعام النظر في الآية الكريمة يظهر جليا أن المراد بلفظ (الْجَاهِلُونَ): السفهاء من الكفار والعصاة وغيرهم.

وهذه الدلالة السياقية مستفادة من السياق القرآني متمثلا في دلالة جملة (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا) التي تعني: أنهم يمشون على الأرض حلماء متواضعين في سكينة وخشوع ووقار.

قال ابن قتيبة: «الهون بفتح الهاء: الرفق»(٥). كما ورد في تاج اللغة: الهون: السكينة والوقار(٦).

---

* وردت بلفظ "الثاني"، والصواب: "الآخر" ؛ لأنه ليس هناك ثالث ولا رابع. ينظر: النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تح/السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ١٥٤/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت.

(١) السابق نفسه ١٥٤/٤.

(٢) تفسير القرآن لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام الدمشقي، تح د/عبد الله بن إبراهيم الوهبي ٤٣١/٢، دار ابن حزم ، بيروت.

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي ٣٤٥/٣.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، تح/عبد الرازق المهدي ٤٥٤/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة، تح د/عبد الله الجبوري ٥٠٢/١، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.

(٦) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تح/أحمد عبد الغفور عطار ٢٢١٨/٦.

وكذلك دلالة لفظ (سَلَامًا) فقد روى البغوي عن مجاهد: أي سدادا من القول [١]. وفسره العز بن عبد السلام بقوله: سدادا أو طلبا للمسالمة أو وعليك السلام [٢].

ومما زادني إيمانا بهذه الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلُونَ) ما ذكره الزمخشري: المراد بالجهل –يقصد لفظ _الجاهلون) في الآية موضوع البحث: السفه وقلة الأدب وسوء* الرعة [٣].

وما ورد في أحكام القرآن: الجاهلون –يقصد في هذه الآية الكريمة–: عام في الكفار وغيرهم من جاهلي المؤمنين [٤].

الأمر الذي يؤكد حتمية الدلالة السياقية التي أشرت إليها وهي السفهاء من الكفار والعصاة وغيرهم، والتي تحمل في طياتها ما يتصف به الْجَاهِلُ من سمات نفسية، تتمثل في خفة العقل وإظهار الطيش من خلال النزوع إلى التكبر والإغراق في السفه والسير على غير هدى.

---

(٥) – قال تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[٥].

سياق الآية الكريمة يوضح لنا إصرار قوم لوط على إتيان الفاحشة نتيجة استيلاء الشهوة على نفوسهم وسيطرة القسوة على قلوبهم، ومن ثم استحقاقهم للعقاب الدنيوي من الله –عز وجل–.

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤٥٤/٣.

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ٤٣٠/٢.

* الورع بكسر الراء: الرجل التقي. وقد ورع يرع بالكسر فيهما ورعا ورعة. يقال: فلان سيئ الرعة، أي: قليل الورع. تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١٢٩٦/٣، (ورع).

(٣) الكشاف للزمخشري ٢٩١/٣.

(٤) أحكام القرآن لابن الفرس، تح/صلاح الدين بو عفيف ٣٩٨/٣، دت.

(٥) سورة النمل الآية: ٥٥.

وقد اختلفت آراء العلماء في تفسير لفظ (تَجْهَلُونَ) فمنهم من رأى أن الجهل –ههنا– ضد العلم، ففسره الماتريدي بقوله: « أي تجهلون الأمر فتعصون » (١).

ووافقه في ذلك مكي الأندلسي فقد علق على الفعل قائلا: « أي تجهلون حق الله عليكم فخالفتم أمره » (٢). كما روى ابن الجوزي عن ابن عباس–ﷺ– قوله: «أي تجهلون القيامة وعاقبة العصيان» (٣).

ومن المفسرين من رأى أن الجهل –ههنا– ضد الحلم، فها هو الطبري يوضح المعنى المراد من قوله –عز وجل–: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) بقوله: « ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله» (٤).

كما ورد في أنوار التنزيل قوله: (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ): تفعلون فعل من يجهل قبحها، أو يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبيح، أو تجهلون العاقبة (٥). وجاء في البحر المحيط: معنى: تجهلون، أي عاقبة ما أنتم عليه، أو تفعلون فعل السفهاء المجان (٦).

وبعد قراءة متأنية لأقوال المفسرين اتضح أن الجهل المتمثل في لفظ (تَجْهَلُونَ) في هذه الآية الكريمة بمعنى: ضد الحلم والدلالة السياقية للفعل هي: تفعلون فعل السفهاء الماجنين.

---

(١) تأويلات أهل السنة ١٢٤/٨.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٤٥٠/٨.

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٣٦٧/٣.

(٤) جامع البيان للطبري ٤٨١/١٩.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، تح/محمد عبد الرحمن المرعشلي ١٦٣/٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

(٦) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تح/صدقي محمد جميل ٢٥٥/٨، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

وهذه الدلالة مستفادة من السياق الذي خيم عليه المعنى المشار إليه آنفا –ضد الحلم– متمثلا في دلالة لفظ (شَهْوَةً) وموقعية الجار والمجرور (مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) والتعقيب بقوله: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ).

فالتعبير بلفظ (شَهْوَةً) بيان لإتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر(١). وهو ما يكشف طيشهم وسوء تصرفهم.

أما موقعية الجار والمجرور (مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) فمعناه: تأتون الذكور وتدعون النساء(٢). الذي يدل دلالة قاطعة على سفههم وانحرافهم عن جادة الطريق فضلا عن السخرية منهم والاستخفاف بهم، وهو ما يناسب فعل السفه. وهو ما يبرز أهمية الدلالة النحوية المتمثلة في دلالة الجار والمجرور وكذلك دلالة الإضافة في تحديد الدلالة السياقية للفظ (تَجْهَلُونَ).

كما أن التعقيب بقوله: (أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) يبين أنهم جعلوا الذي لأجله يخرجون أنهم يتطهرون من هذا الصنيع الفاحش وهذا يوجب تنعيمهم وتعظيمهم أولى لكن في المفسرين من قال: إنما قالوا ذلك على وجه الْهُزْءِ (٣).

وهذا ما أكده القرطبي بقوله فيما رواه عن مجاهد: قَوْلُهُ تَعَالَى: (أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) أي عن أدبار الرجال. يقولون ذلك استهزاء منهم (٤). مما يعني أن مفردات النص القرآني وتراكيبه قد تضامت لإثبات أن الجهل هنا بمعنى: ضد الحلم.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٦٣/٤.

(٢) تأويلات أهل السنة ١٢٤/٨.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٥٦٢/٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ٢١٩/١٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، دت.

ولعل هذا ما دفع الدكتور/محمد حسن جبل إلى إدراج الجهل في لفظ (تَجْهَلُونَ) في الآية الكريمة تحت معنى ضد الحلم قائلا: وكذلك الجهل ضد الحلم لما في الباطن من فراغ يتمثل في السلوك بخفة وطيش وسفه، أو من جفاف يتمثل في السلوك بجفاء، وغلظة (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(١).

وإذا أنعمت النظر في لفظ (تَجْهَلُونَ) أدركت أنه قد رجح فيه جانب الخطاب على جانب الغيبة فلم يقل: "يجهلون " بياء الغيبة، وكلاهما مقتضى الظاهر؛ لأن الخطاب أقوى دلالة (٢). وهو ما يكشف عن قوة وشناعة صنيعهم وقذارة فعلهم. كما يتوجب في هذا المقام لفت الأنظار إلى أهمية التعبير بصيغة المضارع في قوله: (تَجْهَلُونَ) التي تدل على التجدد والحدوث، الأمر الذي يبين إصرارهم على الفاحشة مما يدل على شدة سفههم وحمقهم، وهو ما يبرز أهمية الدلالة الصرفية في تحديد الدلالة السياقية للفظ (تَجْهَلُونَ) ومن ثم يوصف الجهل ههنا بأنه من النوع الثاني (الجهل المركب).

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الدلالة السياقية للفعل (تَجْهَلُونَ) ظهرت من خلال الوقوف على دلالات الألفاظ السابقة على الكلمة وكذلك دلالة التراكيب اللاحقة لها أيضا. فإذا أنعمت النظر في الآية الكريمة لاحظت أن النسق النصي اللغوي لها قد ربط بين ذكر الجهل متمثلا في لفظ (تَجْهَلُونَ) ولفظ (شَهْوَةً)، وكأن النظم القرآني يخبرنا أن الشخص المتصف بالجهل صار أسيرا لشهواته، عبدا لنزواته، عاجزا عن رؤية الحق.

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ٣٥٢/١.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨٩/١٩، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.

(٦) – قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [١].

جاءت الآية الكريمة في سياق توضيح حال المؤمنين بعدما أخبر الله – تعالى– عن كيفية اشتغالهم بالطاعات والأفعال الحسنة، بين كيفية إعراضهم عن الجهال فقال: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) واللغو: ما حقه أن يلغى ويترك من العبث وغيره، وكانوا يسمعون ذلك فلا يخوضون فيه، بل يعرضون عنه إعراضا جميلا [٢].

وقد انقسم المفسرون في بيان الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِينَ) إلى فريقين:

أحدهما: فسر اللفظ بمعنى: السفهاء، فها هو الماتريدي يفسر قوله –عز وجل–: (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) بقوله: « يعنون: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه » [٣].

وقال الثعلبي: « قوله تعالى: (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) قيل: محاورة الجاهلين» [٤]. كما روى أبو الحسن النيسابوري عن مقاتل قوله: « لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه»[٥].

والآخر: فسر اللفظ في سياق الآية الكريمة بـ "المشركين".

قال السمرقندي معلقا على قوله تعالى: (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ): «لا نطلب دين الخاسرين»[٦].

---

(١) سورة القصص الآية: ٥٥.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٦٠٨/٢٤. بتصرف يسير.

(٣) تأويلات أهل السنة ١٨١/٨.

(٤) الكشف والبيان ٢٥٤/٧.

(٥) التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تح (١٥) رسالة دكتوراه ٤١٩/١٧–٤٢٠، جامعة الإمام محمد بن سعود، دت.

(٦) بحر العلوم ٦١٣/٢.

وروى الثعلبي عن الكلبي قوله: « أي دين الجاهلين » [١].

كما ورد في زاد المسير في قوله تعالى: (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ): « ثلاثة أقوال: أحدها: لا نبتغي دِين الجاهلين. والثاني: لا نطلُب محاورتهم. والثالث: لا نريد أن نكون جهّالا» [٢].

غير أن المتأمل في الآية الكريمة –موضوع البحث– بإمكانه أن يستنبط الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِينَ) وهي السفهاء من المشركين، **وهذه الدلالة مستفادة من السياق متمثلا في أمرين:**

أحدهما: مناسبة الآية الكريمة للآية السابقة، فقد نقل السياق القرآني مقابلة بين حال المؤمنين وحال سفهاء المشركين، فلما بين الله –سبحانه وتعالى– كيفية اشتغال المؤمنين بالطاعات والأفعال الحسنة بين كيفية إعراضهم عن الجهال من المشركين [٣].

والآخر: دلالات الجمل الواردة في الآية الكريمة التي تتسق والدلالة السياقية التي أشرت إليها.

فقد فسر قتادة قوله –ﷻ–: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) بقوله: لا يجارون أهل الجهل والباطل في باطلهم .... وقال آخرون: عُنِي باللغو في هذا الموضع: ما كان أهل الكتاب ألحقوه في كتاب الله مما ليس هو منه [٤].

وقال السمرقندي معلقا على قوله تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ): «يعني: إذا سمعوا الشتم والأذى والقبيح لم يردوا عليهم، ولم يكافئوهم به ولم يلتفتوا إليه، يعني: إذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتم » [٥].

---

(١) الكشف والبيان ٢٥٤/٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٣٨٨/٣.

(٣) يراجع في ذلك: مفاتيح الغيب للرازي ٦٠٨/٢٤.

(٤) جامع البيان ٥٩٧/١٩.

(٥) بحر العلوم ٦١٣/٢.

هذه السطور تدل دلالة قاطعة على سفه وحمق المشركين وهو ما يلائم الدلالة التي أشرت إليها. وإذا تأملت قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) لا حظت أن دلالة هذه الجملة تتفق والدلالة السياقية، فقد فسره أبو إسحاق بقوله: « ولم يريدوا بقولهم: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) التحية؛ والمعنى: أنهم قالوا: بيننا وبينكم المتاركة والتسليم. وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال» (١).

كما ورد في تفسير السمعاني: لَيْسَ المُرَاد من السَّلَام –هَاهُنَا– هُوَ التَّحِيَّة، وَلَكِن هَذَا السَّلَام هُوَ سَلام المتاركة، وَيُقَال مَعْنَاهُ: سلمتم من معارضتنا لكم بِالْجَهْلِ والسفه (٢).

هذه التفسيرات تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المراد من لفظ (الْجَاهِلِينَ) –ههنا– هو السفهاء من المشركين. بيد أن اللافت للنظر في الآية الكريمة ارتباط ذكر لفظ (الْجَاهِلِينَ) بلفظ (اللَّغْو) الأمر الذي يعطينا صورة صادقة عن الشخص الموصوف بالجهل، فهو يتسم بالسفه والجدال والخوض في الباطل، ناهيك عن عدم التورع عن إلحاق الأذى بالآخرين.

(١) التفسير البسيط ٤١٩/١٧.

(٢) تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تح/ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم ١٤٨/٤، دار الوطن، الرياض، السعودية، دت.

تعقيب:

- **وبإنعام النظر في الآيات الكريمة السابقة التي ورد فيها اشتقاقات الفعل (جهل) بمعنى: ضد الحلم يمكننا أن نستنبط بعض النتائج ومنها:**

١- لما كان الجهل يمثل نقيصة من أقبح النقائص التي من الممكن أن يتصف بها الإنسان، فقد تبرأ منه نبي الله موسى -عليه السلام- الأمر الذي يدل على مدى قبح صفة الجهل.

٢- ارتباط ذكر معنى الجهل في الآيات الكريمة بالهزء والشهوة واللغو وهو ما يدل دلالة قاطعة على سمت الْجَاهِلِ من فساد قلبه وجوارحه، فهو شخص تسيطر عليه شهواته، تميل نفسه إلى الباطل.

٣- الدلالة السياقية لمشتقات الفعل (جهل) في الآيات الكريمة (الجاهلين- تجهلون- الجاهلون) التي وردت بمعنى: ضد الحلم لا تجافي الدلالة المعجمية لتركيب (جهل) الذي أرجعه ابن فارس إلى أصلين، أحدهما: الخفة، وخلاف الطمأنينة [١].

وكأن الآيات الكريمة تعكس شخصية الْجَاهِلِ الذي يتصف بخفة العقل وإن تميز بشيء فإنما يتميز بالطيش والسفه والحمق.

٤- ظهر دور السياق جليا في تحديد الدلالة السياقية للكلمة محل الدراسة من خلال دلالة بعض كلمات النص القرآني وعلاقتها بالكلمة محل الشاهد مثل كلمة: (هُزُوًا) ودورها في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (الجاهلين) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ ﴾[٢]. وكذلك دور لفظي: (هَوْنًا) و(سَلَامًا) في تحديد الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلُونَ) في قوله

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٨٩/١ (جهل).

(٢) سورة البقرة من الآية: ٦٧.

تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ (١).

٥- كما يظهر دور السياق جليا في تحديد الدلالة السياقية للكلمة محل الدراسة من خلال مناسبة الآية للآية السابقة عليها كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ (٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (٣).

٦- التنبيه على أهمية الدلالة الصرفية ودورها البارز في تحديد الدلالة السياقية للفظ؛ وذلك من خلال التعبير بصيغة المضارع (تَجْهَلُونَ) في قوله تعالى: (قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(٤)، وقوله تعالى: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(٥).

٧- التأكيد على أهمية الدلالة النحوية ودورها الكبير في تحديد الدلالة السياقية للفظ، ومنه موقعية ودلالة الجار والمجرور، وكذلك دلالة الإضافة في (مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) من قوله تعالى: (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)(٦).

****

(١) سورة الفرقان الآية: ٦٣.
(٢) سورة الأعراف الآية: ١٣٨.
(٣) سورة القصص الآية: ٥٥.
(٤) سورة الأعراف من الآية: ١٣٨.
(٥) النمل الآية: ٥٥.
(٦) النمل الآية: ٥٥.

المبحث الثاني: الجهل ودلالته ضد الخبرة

(١) ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [١].

جاءت الآية الكريمة في سياق تحديد النظم القرآني للفئة الأولى استحقاقا للصدقة وهم فقراء المهاجرين الذين حبسوا أنفسهم في طاعة الله من العبادة والجهاد في سبيل الله.

ليس الجهل المراد في الآية الجهل الذي هو ضد العلم، وإنما المقصود الجهل الذي هو ضد الخبرة، وهو ما فطن إليه علماء اللغة وتنبه إليه المفسرون، وهو ما أشار إليه الآزهري بقوله معلقا على لفظ (الجاهل) في الآية الكريمة: « لم يرد الْجَهْل الّذي هُوَ ضدّ الْعقل، وَإِنَّمَا أَرَادَ الجهلَ الَّذِي هُوَ ضدّ الخبْرة. أَرَادَ: يَحْسَبُهم مَن لم يَخْبُر أمْرَهُم» [٢].

وأكده أبو عبيد الهروي بقوله: « يعني: الْجَاهِلُ بحالهم، ولم يرد الْجَاهِل الذي هو ضد العاقل، إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة، يقال: هو يجهل ذلك: أي: لا يعرفه» [٣]. وتابعهما في ذلك الراغب، فقد فسر لفظ الجاهل في الآية بقوله: « أي من لا يعرف حالهم»[٤].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٧٣.

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري ، تح/ محمد عوض مرعب ٣٨/٦ (هـ ج ل)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(٣) الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي تح/أحمد فريد المزيدي ٣٩٠/١، (جهل)، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، دت.

(٤) التوقيف على مهام التعاريف، لزين الدين عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي ص١٣٣، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.

ووافق المفسرون علماء اللغة في المراد من لفظ (الْجَاهِلُ) في الآية الكريمة، فقد قال قتادة: « الْجَاهِلُ في شأنهم»[١]. وفسره السمرقندي بقوله: الْجَاهِلُ بأمرهم وشأنهم » [٢].

كما روى السمعاني عن مجاهد قوله: « لَيْسَ المُرَاد بِهَذَا الْجَاهِل خلاف الْعَالم وَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي لَا خبْرَة لَهُ وَلَا معرفَة بحالهم» [٣].

وبعد قراءة متأنية لآراء اللغويين وأقوال المفسرين ظهر لي جليا الدور الكبير للسياق في تحديد دلالة لفظ (الْجَاهِلُ) في الآية موضوع البحث، فالمقصود بالجاهل ههنا: الذي لا خبرة له ولا معرفة بحالهم، وهذه الدلالة مستفادة من دلالة ألفاظ وتراكيب النسق النصي اللغوي للآية الكريمة بدءا من استعمال الفعل (يَحْسَبُهُمُ) أي يظنهم [٤]. فالحسبان: هو الظن [٥].

مرورا بقوله تعالى: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ) أي تعرفهم يا محمد بسيماهم يعني: بعلامتهم وآثارهم[٦]. أي بصفرة الوجوه من قيام الليل وصوم النهار[٧].

وانتهاء بدلالة جملة (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) التي فسرها الماتريدي بقوله: « يحتمل وجهين: يحتمل: لا يظهرون السؤال، أي لا يسألون ..... ويحتمل: فإن كان على السؤال فإنهم إذا سألوا لم يلحفوا » [٨].

---

(١) تفسير القرآن، لأبي محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تح/سعد بن محمد السعد ٤٣/١، دار المآثر، المدينة النبوية.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ١٨١/١.

(٣) تفسير القرآن للسمعاني ٢٧٧/١.

(٤) روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي ٤٣٥/١، دار الفكر، بيروت.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ٦٨/٧.

(٦) جامع البيان للطبري ٥٩٤/٥.

(٧) بحر العلوم للسمرقندي ١٨١/١.

(٨) تأويلات أهل السنة ٢٦٦/٢.

والإلحاف: هو الإلحاح في المسألة [1]، وهو ما يشعر بعدم معرفة حالهم، فهذه الدلالات المتتابعة تؤكد أن المقصود بلفظ (الْجَاهِلُ) في الآية: الذي لا خبرة له ولا معرفة بحالهم، فاستعمال الظن في قوله: (يَحْسَبُهُمُ) وتعداد صفات المستحقين للصدقة من خلال التراكيب الآتية (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ) و(تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ) و (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) يدل دلالة واضحة على الدلالة السياقية التي أشرت إليها، ولما كان المراد بالجهل –ههنا– : ضد الخبرة؛ فناسب ذلك الإكثار من أوصافهم كي يتضح حالهم، ويظهر أمرهم، وتتحدد صفتهم.

ولما كان معنى الجهل في الآية متمثلا في لفظ (الْجَاهِلُ) لم يحمل على حقيقته، فلم يقترن ذكره بذكر الصفات المذمومة، وإنما اقترن بصفة من الصفات النبيلة وهي التعفف.

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الجهل يذكر في السياق القرآني تارة للذم وهو الأكثر، وتارة لا له نحو (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ) أي من لا يعرف حالهم [2]. وواضح لكل ذي عينين أن الجهل في الآية الكريمة يندرج تحت اعتقاد الشي على خلاف ما هو عليه.

---

(٢) قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3].

جاءت الآية الكريمة في سياق بيان رحمة النبي محمد –ﷺ– ورأفته بقومه؛ إذ توضح حرص النبي–ﷺ– على إيمان قومه، فوجه الله –تعالى– نبيه

---

(١) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد، تح الشيخ/محمد حسن آل ياسين ١٠٤/٣ (ح ل ف) عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٠٦/٢، والتوقيف على مهمات التعريف ص١٣٣.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٣٥.

الكريم-ﷺ- بألا يجزع لإعراضهم عن الإيمان به، مخبرا إياه بأنه -عز وجل- وحده هو القادر على إحياء قلوب المشركين بالإيمان به.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في دلالة لفظ (الْجَاهِلِينَ) في الآية الكريمة، فمنهم من جعل الجهل بمعنى: ضد العلم، فقد فسره الماتريدي بقوله: « قوله تعالى: (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) يحتمل وجوهًا: يحتمل: فلا تكونن من الجاهلين: من قضاء الله وحكمه.

ويحتمل: لا تكونن من الجاهلين: من إحسانه وفضله، أي من إحسانه وفضله يجعل لهم الهدى. ويحتمل: لا تكونن من الجاهلين أنه يؤمن بك بعضهم وبعضهم لا يؤمن » (١).

ومنهم من جعل الجهل بمعنى: ضد الخبرة، فها هو الماوردي يفسره بقوله: «يعني تجزع في مواطن الصبر، فتصير بالأسف والتحسر مقارباً لأحوال الْجَاهِلِينَ»(٢). ووافقه النيسابوري في تفسيره قائلا: « معناه: لا يشتد تحسرك على تكذيبهم، ولا تجزع من إعراضهم عنك؛ فتقارب حال الجاهل»(٣).

وهذا ما أكده الرازي الذي كان تفسيره للفظ (الْجَاهِلِينَ) أكثر وضوحا، فقد قال: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَشْتَدَّ تَحَسُّرُكَ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ، وَلَا يَجُوزَ أَنْ تَجْزَعَ مِنْ إِعْرَاضِهِمْ عَنْك؛ فَإِنَّكَ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرُبَ حَالُكَ مِنْ حَالِ الْجَاهِلِ»(٤).

والمتأمل في الآية الكريمة يمكنه أن يدرك أن الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِينَ): الذين يجهلون حكمة الله -تعالى- ومشيئة الأزلية (٥). أي:

---

(١) تأويلات أهل السنة ٤/٧٥.

(٢) النكت والعيون ٢/١٠٩.

(٣) التفسير البسيط ٨/١٠٩.

(٤) مفاتيح الغيب ١٢/٥٢١.

(٥) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ص٣٥٨، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هت-١٩٩٧م.

لا تحزن يا محمد على كفرهم، ولا تأسف لإعراضهم عنك، فتقارب حال الجاهلين.

وهذه الدلالة مستفادة من علاقة لفظ (الْجَاهِلِينَ) بالجملة السابقة عليه، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) أي: لو أراد الله لهداهم إلى الإيمان [1]. وكذلك قوله تعالى: (فَلَا تَكُونَنَّ) الذي يدل دلالة قاطعة على أن الله –ﷻ– قد أعاذ نبيه سيدنا محمدا –ﷺ– من مقاربة حال الجاهلين.

فالنهي في قوله (فَلَا تَكُونَنَّ) لا يقتضي إقدامه على مثل هذه الحالة، كما أن قوله: (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ)[2] لا يدل على أنه –ﷺ– أطاعهم وقبل دينهم»[3].

كما أن تغليظ الخطاب في قوله: (فَلَا تَكُونَنَّ) عن طريق استخدام أسلوب النهي مقترنا بصيغة التوكيد يمنع من حمل الجهل ههنا على معنى ضد العلم. ويحتم مجيئه بمعنى ضد الخبرة.

ومن ثَمَّ يتضح جليا أن الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلِينَ) قد تحددت من خلال دلالة بعض الألفاظ والتراكيب السابقة عليها.

****

(١) صفوة التفاسير ص٣٥٨.

(٢) سورة الأحزاب من الآية: ٤٨.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي٥٢١/١٢ .

المبحث الثالث: الجهل ودلالته ضد العلم

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [١].

جاءت الآية الكريمة في سياق ذكر الله –سبحانه وتعالى– وقت التوبة وشرطها لعباده المؤمنين، ذلك أن الحق –سبحانه وتعالى– لما ذكر في الآية السابقة أن المرتكبين للفاحشة إذا تابا وأصلحا زال الأذى عنهما، وأخبر على الإطلاق –أيضا– أنه تواب رحيم، ذكر وقت التوبة وشرطها، ورغبهم في تعجيلها لئلا يأتيهم الموت وهم مصرون فلا تنفعهم التوبة [٢].

تباينت أقوال علماء اللغة في تحديد دلالة لفظ جهالة ففسرها الأزهري بقوله: أن يفعل فعلا بغير علم[٣].

كما ورد في معجم لغة الفقهاء: الجهالة مصدر جهل الشيء جهلا وجهالة: لم يعرفه[٤].

فيستنبط مما سبق أن معنى الكلمة هو: إتيان الأمر والإقدام عليه بغير تبصر.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة) فقال الزجاج في تفسيرها: « وإنما معنى (بِجَهَالَةٍ) أنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال» [٥].

وعلق عليها الماتريدي بقوله: والعمل بجهالة يخرَّج على وجوه: يكون عن غلبة: تغلب عليه شهوته؛ فيعمل ذلك العمل على طمع منه أنه سيتوب من

---

(١) سورة النساء الآية: ١٧.

(٢) مفاتيح الغيب ٥/١٠.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٣٧/٦ (هـ ج ل) .

(٤) معجم لغة الفقهاء محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي ص١٦٨ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٩/٢.

بعد، ويصير رجلاً صالحًا ..... ويحتمل العمل بالجهالة: هو أن يعمل على طمع المغفرة، ويتكل على رحمة الله وكرمه. ويحتمل العمل بالجهالة: جهالة عقوبة عمله على ذلك (١).

وجاء في الكشف: اختلفوا في معنى الجهالة: فقال مجاهد والضحاك: هي العمد.

وقال الكلبي: لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل عقوبته.

وقال سائر المفسرين: يعني المعاصي كلها، فكل من عصى ربّه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته (٢).

وقال مكي الأندلسي: « بِجَهَالَةٍ منهم لما في الذنب من العقاب عمدوا ذلك أو جهلوه. وقيل: الجهالة أن يعمل المعصية وهو يعلم أنها معصية، فإن لم يعلم ذلك، فهو خطأ وليست بجهالة.» (٣).

لكن سياق الآية الكريمة يدل دلالة قاطعة على أن الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة) هي عمل المعصية، والإقدام عليها على بصيرة طمعا في مغفرة الله.

وهذه الدلالة مستفادة من دلالة بعض التراكيب السابقة على الكلمة – موضوع الدراسة– وكذلك اللاحقة لها، **فتستنبط من قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ)، ففيه وجهان:**

الأول: أنه إعلام بأنه يجب على الله قبولها، وجوب الكرم والفضل والإحسان، لا وجوب الاستحقاق.... .

والآخر: يعني إنما الهداية إلى التوبة والإرشاد إليها والإعانة عليها على الله –تعالى– في حق من أتى بالذنب على سبيل الجهالة ثم تاب عنها عن قريب وترك الإصرار عليها وأتى بالاستغفار عنها (٤).

---

(١) تأويلات أهل السنة ٣/٧٩.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٣/٢٧٣.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٢/١٢٥٨.

(٤) مفاتيح الغيب ١٠/٨.

كما تفهم هذه الدلالة من قوله تعالى: (يَعْمَلُونَ السُّوءَ) الذي يوحي بأنهم آثروا أهواءهم من ارتكاب المعاصي على ما علموا أنه الحق من مخالفة أمر ربهم، فالمقصود بالسوء: المعاصي، سمي سوءا؛ لسوء عاقبته [١].

أما التراكيب اللاحقة فتتمثل في قوله تعالى: (فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أي: يرزقهم إنابة إلى طاعته، ويتقبل منهم توبتهم إليه [٢].

فهذه الدلالات كلها ترجح الدلالة السياقية التي أشرت إليها لكلمة (جَهَالَة). وإنما يصنف الجهل في هذه الآية الكريمة على أنه بمعنى: ضد العلم؛ لأن من أتى بالمعصية مع علمه بكونها معصية وبما يترتب عليها من العقاب مرتكبا أفعال الجهال صار كمن لا علم له.

بيد أن اللافت للنظر في الآية الكريمة اقتران ذكر الجهل بالمعاني المذمومة؛ فقد ارتبط ذكر الجهل في الآية بالسوء وكأنها إشارة من الله -ﷻ- لعباده المؤمنين لتنفيرهم من الجهل، وتحذيرهم من سوء عاقبته.

---

(٢) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

نزلت الآية الكريمة في أهل الصُّفَّةِ الذين سأل المشركون الرسول -ﷺ- طردهم وإبعادهم، فأكرمهم الله بهذا الإكرام، فكان النبي -ﷺ- إذا رآهم بدأهم بالسلام[٤].

وقيل: نزلت في عمر -رضي الله عنه- حين أشار بإجابة الكفار إلى ما سألوا ولم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣٨٣/١.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢٥٩/٢.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٥٤.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٥/١٣، والتفسير الوسيط للواحدي ٢٧٦/٢.

يعلم أنها مفسدة [١].

وقد تباينت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة) ففسرها الطبري بقوله: « من عمل بمعصيـــة الله، فذلك منه جهل حتى يرجع »[٢].

وعلق عليها السمرقندي قائلا: « يعني من ركب معصية وهو جاهل بركوبها، وإن كان يعلم أنها معصية » [٣].

وقال ابن عاشـور في تفسيرهـا: « أي: من عمل سوءا عن حماقة من نفسه وسفاهة » [٤].

لكن سياق الآية الكريمة يدل دلالة قاطعة على أن الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة) هي عمل المعصية والإقدام عليها على بصيرة طمعا في مغفرة الله –عز وجل–.

وهذه الدلالة مستفادة من دلالات التراكيب السابقة على كلمة (جَهَالَة) واللاحقة لها أيضا، فتفهم من قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) أي: أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها [٥].

كما تفهم من قوله تعالى: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) أي: أوجب أن يرحم ويغفر لمن تاب [٦]. كما تستنبط هذه الدلالة السياقية من دلالات التراكيب اللاحقة لكلمة (جَهَالَة) متمثلة في قوله تعالى: (ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ) الذي يوحي بإخلاص التوبة وحسن الأوبة إلى الله –ﷻ–، فمعناه: رجع عن ذنبه، ولم يصر على ما فعل، وأصلح عمله [٧].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٢/٢٩.
(٢) جامع البيان ١١/٣٩٤.
(٣) بحر العلوم ١/٤٥١.
(٤) التحرير والتنوير ٧/٢٥٩.
(٥) جامع البيان للطبري ١١/٣٩٢.
(٦) تأويلات أهل السنة ٤/٩٥.
(٧) التفسير البسيط للواحدي ٨/١٧٧.

وكذلك قوله تعالى: (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) الذي يحمل في طياته البشرى برضا الله –ﷻ– عن عباده المؤمنين ومغفرته لهم إذا أقلعوا عن الذنب وأصلحوا أعمالهم.

والمتأمل في الآية الكريمة يمكنه أن يشعر بالتماسك النصي فيها من خلال الترابط بين تراكيبها وعلاقة كل تركيب بالآخر. وهذا ما أشار إليه ابن عاشور بقوله: « جملة (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) مستأنفة استئنافا ابتدائيا، وهي أول المقصود من المقول، وأما السلام فمقدمة للكلام. وجوَّز بعضهم أن تكون كلاما ثانيا. وقوله: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) تمهيد لقوله: (أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ)»[(١)].

وأهم ما يستلفت النظر في الآية الكريمة هو اقتران ذكر الجهل بالسوء للمرة الثانية في النظم القرآني؛ وذلك للتأكيد على تنفير المؤمنين من الجهل، وتحذيرهم من ارتكاب أفعال الجُهَّال الحمقى.

---

(٣) قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [(٢)].

جاءت الآية في سياق تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) مع تسليه للنبي –ﷺ– بذكر طبائع الناس وما يلاقيه الأنبياء في دعوتهم [(٣)].

تباينت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية للفعل (يَجْهَلُونَ) فقد فسره الطبري بقوله: « ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك،

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥٨/٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١١١) .

(٣) التفسير الواضح د/ محمد محمود حجازي ٦٥١/١ دار الجيل الجديد –بيروت– الطبعة العاشرة ١٤١٣هـ .

يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفرَ بأيديهم » [١].

وعلق عليه السمرقندي بقوله: « يجهلون ما في العلامة من وجوب هلاكهم بعد العلامة إن لم يؤمنوا » [٢].

وقال أبو حيان: « يَجْهَلُونَ الْحَقَّ، أَوْ يَجْهَلُونَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اقْتِرَاحُ الْآيَاتِ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا آيَةً وَاحِدَةً، أَوْ يَجْهَلُونَ أَنَّ كُلًّا مِنَ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ هُوَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ» [٣].

لكن سياق الآية يرجح الدلالة السياقية التي أشار إليها الماوردي بقوله:«(يَجْهَلُونَ) فيه وجهان: أحدهما: يجهلون فيما يقترحونه من الآيات. والآخر[٤]: يجهلون أنهم لو أجيبوا إلى ما اقترحوا لم يؤمنوا طوعا» [٥].

وأكد الواحدي هذه الدلالة معلقا على الفعل (يَجْهَلُونَ) بقوله: «لا يعلمون أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا» [٦].

وهذه الدلالة مستفادة من دلالة بعض التراكيب السابقة على الفعل (يجهلون) قوله: (مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) فهذا التركيب يوحي بأن الله –سبحانه وتعالى– إذا جاءهم بكل الدلائل والآيات التي تشهد بصدق النبي –ﷺ– لا يؤمنون بها ما داموا على حالهم من التعنت والنظر إلى آيات الله نظرة استهزاء وتكذيب لا نظرة تأمل وتدبر.

كما تستنبط هذه الدلالة السياقية من دلالة تركيب (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) الذي يفهم منه أن الله –ﷻ– قد أخبر نبيه –ﷺ– أن إيمان هؤلاء المشركين بالله متوقف على توفيق الله لهم وهدايته إياهم .

---

(١) جامع البيان ٤٧/١٢ بتصرف يسير.

(٢) بحر العلوم ٤٧٥/١.

(٣) البحر المحيط ٦٢٣/٤.

(٤) وردت بلفظ "الثاني" والصواب الآخر؛ لأنه ليس هناك ثالث ولا رابع. النكت والعيون للماوردي ١٥٧/٢

(٥) السابق ١٥٧/٢ .

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣١٢/٢ .

أشار الواحدي إلى هذا المعنى مفسرا قوله تعالى: «(مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أخبر الله نبيه -ﷺ- بما سبق في علمه وقضائه من الشقوة عليهم، وأنهم لا يؤمنون بالله -تعالى- إلا أن يهديهم الله ويسهل ذلك عليهم» (١).

ومن ثم فإن دلالة الفعل (يَجْهَلُونَ) قد تحددت من خلال السياق والمتأمل في الآية الكريمة يمكنه أن يدرك بوضوح التماسك النصي بينها وبين الآيات السابقة عليها، فقد جاءت ردا على قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

فالآية الكريمة محل الدراسة -تمثل إعلام من الله- ﷻ- يزيل بها طمع النبي -ﷺ- من أن يؤمن هؤلاء العادلون بربهم الأوثان، الذين سألوا الآية وأقسموا أنهم يؤمنون إذا نزلت، فأخبر تعالى أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كلُّ آيةٍ (٣).

---

(٤) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾(٤).

سياق الآية:

لما هدَّد الله -تعالى- المشركين بالعقوبة على قبائحهم من ضروب الكفر والمعصية في الآية السابقة (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)(٥)، بيَّن في هذه الآية الكريمة أن قبائحهم وإن عظمت وطال

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣١٢/٢ .
(٢) سورة الأنعام الآية: (١٠٩) .
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٢١٥٢/٣ .
(٤) سورة النحل الآية: ١١٩.
(٥) سورة النحل الآية: ١١٦.

أمدها– لا تحول دون قبول التوبة منهم والفوز بمغفرته ورحمته –سبحانه– إذا رجعوا إليه وأنابوا وأصلحوا [١].

اختلف المفسرون في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة) ففسرها الماوردي بقوله: « فيها وجهان: أحدها: بجهالة أنها سوء. الثاني: بجهالة لغلبة الشهوة عليهم مع العلم بأنها سوء. ويحتمل ثالثاً: أنه الذي يعجل بالإقدام عليها ويعد نفسه بالتوبة.» [٢].

وعلق الزمخشري قائلا: « جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه، أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم» [٣].

وقال ابن عطية في تفسيرها: «قالت فرقة: (الجهالة) العمد، والجهالة عندي في هذا الموضع ليست ضد العلم بل هي تعدي الطور وركوب الرأس»[٤].

الدلالة السياقية لكلمة جهالة هي: عمل القبائح من كفر أو معصية.
أو مالا ينبغي فعله إما لسوء معرفة بالله، وإما لغلبة الشهوة.

وهذه الدلالة مستفادة من وجهين:

الأول: مناسبة الآية الكريمة للآية السابقة عليها التي أشرت إليها آنفا.

والآخر: دلالة بعض الألفاظ والتراكيب السابقة على كلمة (جهالة) واللاحقة لها أيضا، فتفهم هذه الدلالة من قوله (عَمِلُوا السُّوءَ) فقد فسر ابن عباس السوء في هذه الآية بالشرك[٥].

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ٦٩٧/٥ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

(٢) النكت والعيون ٢١٩/٣ .

(٣) الكشاف ٦٤١/٢ .

(٤) المحرر الوجيز ٤٣٠/٣ .

(٥) التفسير البسيط للواحدي النيسابوري ٢٢٤/١٣.

وعلق عليه الرازي بقوله: « وَلَفْظُ السُّوءِ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا لَا يَنْبَغِي وَهُوَ الْكُفْرُ وَالْمَعَاصِي » [١].

وقال البيضاوي: « والسوء يعم الافتراء على الله وغيره » [٢].

وتفهم أيضا من قوله تعالى: (ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أي: آمنوا وصدقوا [٣].

كما تستنبط من قَوْله تَعَالَى: (وَأَصْلَحُوا) الذي يوحي بأنهم استمروا على الإقلاع عن ذلك الكفر أو تلك المعصية ولم يكتفوا بما قد سلف منهم من التوبة، فشَرط الصّلاح هَاهُنَا، وَمَعْنَاهُ: الاسْتقَامَة على التَّوْبَة [٤].

كم تستنبط أيضا من قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) الذي يمثل رسالة طمأنينة ورحمة من الله –عز وجل– إلى جميع الخلق كافرهم ومسلمهم أن باب التوبة مفتوح لهم إذا تابوا من كفرهم ومعاصيهم وأخلصوا العبادة لله سبحانه وتعالى .

تشعر بهذه الطمأنينة من خلال إضافة لفظ (رَبّ) إلى ضميره –ﷺ– ففي هذه الإضافة إشارة كريمة إلى كمال اللطف به –ﷺ– ثم بالتائبين الصادقين حيث تشير إلى أنه –تعالى– أكرمهم بسببه؛ لأنهم من أتباعه[٥]. وتلمس تلك الرحمة في إعادة قوله –عز وجل– :(إِنَّ رَبَّكَ) أي: إن ربك يا محمد من بعد التوبة عن عمل السوء مع الإقبال على الصلاح لعظيم المغفرة للتائبين المصلحين، واسع الرحمة بهم يثيبهم على الطاعة فعلا وتركا فضلا منه وإحسانا[٦]، وهو ما يبرز أهمية الدلالة النحوية المتمثلة في دلالة الإضافة في

(١) مفاتيح الغيب ٢٨٣/٢٠ .

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٤٤/٣.

(٣) التفسير البسيط ٢٢٤/١٣.

(٤) تفسير السمعاني ٢٠٨/٣.

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لمجموعة من العلماء، إشراف/مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف٦٩٨/٥.

(٦) السابق ٦٩٧/٥.

تحديد الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة).

أما السر في إعادة قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ) فيكمن في زيادة تأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه، وللترغيب في التوبة النصوح الصادقة التي يتقبلها الله عن عباده [١]. والعرب قد تكرر أشياء على إرادة التأكيد[٢].

واستمرارا للربط بين ذكر لفظ الجهل والمعاني المذمومة في النظم القرآني، فقد ارتبط ذكر لفظ (جَهَالَة) بالسوء في الآية الكريمة، وللمرة الثالثة في آيات الذكر الحكيم.

ولما كانت الآية في حق المشركين فقد دلت دلالة قاطعة على أنهم كانوا على قدر عظيم من السفه والحمق والطيش والتعنت حال كفرهم بالله –سبحانه وتعالى– مع وضوح الآيات والدلائل على وحدانية الله تعالى.

---

(٥) – قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[٣].

جاءت الآية في سياق بيان مكارم الأخلاق والآداب، فلما أَرْشَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَأَدَّبَ النَّبِيَّ -ﷺ- بِأَحْسَنِ الْآدَابِ، بَيَّنَ أَنَّ التَّكْلِيفَ الَّذِي وَجَّهَهُ اللَّهُ إِلَى الْإِنْسَانِ أَمْرٌ عَظِيمٌ فقال: (إِنَّا عَرَضْنَا) [٤].

تعددت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية للفظ (جَهُولًا)، فقد ورد في جامع البيان: حدثنا سعيد عن قتادة: (ظَلُومًا جَهُولًا) ظلومًا لها يعني الأمانة جهولا عن حقها [٥].

---

(١) السابق ٦٩٧/٥.

(٢) تأويلات أهل السنة ٥٨٩/٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧٢.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ١٨٧/٢٥.

(٥) جامع البيان للطبري ٣٤٣/٢٠.

وروى الماتريدي عن الحسن قوله: « ظلوما لنفسه، جهولا لأمر ربه» [١].

كما قال الماوردي: « قوله: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: ظلوماً لنفسه ، جهولاً بربه ، قاله الحسن. الثاني: ظلوماً في خطيئته ، جهولاً فيما حَمَّلَ ولده من بعده ، قاله الضحاك. الثالث: ظلوماً لحقها، قاله قتادة. جهولاً بعاقبة أمره، قاله ابن جريج » [٢].

لكن السياق كان له دوره في تحديد الدلالة السياقية للفظ (جهولا) وهي: جهول بعاقبة ما تحمله من أمر الله، وما احتمل من الأمانة.

ومما يكشف المعنى المراد من لفظ (جَهُولًا) دلالات بعض الجمل السابقة عليه، وهي على النحو التالي:

قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) الذي يفهم منه أن عرض الأمانة كان تخييرا لا إلزاما [٣]. وكذلك قوله تعالى: (فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا) أي: مخافة وخشية لا معصية ومخالفة [٤]. وكذلك دلالة قوله تعالى: (وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا) أي خِفْنَ منها – السماوات والأرض والجبال أو أهلوها– أن لا يؤدّينَها فيلحقهنَّ العقاب [٥].

كما تفهم هذه الدلالة السياقية من قوله تعالى: (وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) أي خان فيها وأثم، يقال: فلان حمل الأمانة، أي أثم فيها بالخيانة [٦].

ثم كانت النتيجة المنطقية المتمثلة في قوله الله –عز وجل–: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) الذي يوحي بصعوبة حمل الأمانة في الحال، والعقوبة التي عليها في

(١) تأويلات أهل السنة ٤٢١/٨.
(٢) النكت والعيون ٤٣٠/٤.
(٣) التفسير الوسيط للواحدي ٤٨٤/٣.
(٤) السابق نفسه ٤٨٤/٣.
(٥) زاد المسير في علم التفسير ٤٨٨/٣.
(٦) تفسير السمعاني ٣١٤/٤.

المآل، والظلم وضع الشيء في غير موضعه[١].ومن ثم يتضح جليا أن الدلالة السياقية للفظ (جَهُولًا) قد تحددت من خلال دلالة الكلمات والجمل السابقة عليه.

اقتران ذكر لفظ الجهل بالظلم

لما كان الجهل واحدا من العوارض المكتسبة[٢] –ضد السماوية– التي يتصف بها الإنسان، ناسب أن يقترن ذكره بذكر معنى الظلم في الآية الكريمة، فالتعبير بصيغة المبالغة (فعول) في قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) يدل دلالة واضحة على أن الشخص المتصف بالجهل ظالم نفسه لا يحسن تقدير الأمور، ولا يفكر في عواقبها، الأمر الذي يبرز أهمية الدلالة الصرفية في تحديد الدلالة السياقية للفظ (جهولا).

---

(٦) قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[٣].

جاءت الآية الكريمة في سياق الآيات التي نزلت لتسلية النبي –ﷺ– في تكذيب من كذبه من قومه [٤]. إذ تحكي الآية الكريمة تعنت قوم عاد مع نبي الله هود -عليه السلام- المتمثل في سؤالهم العذاب الذي كانوا يوعدون، واستعجالهم

(١) لطائف الإشارات للقشيري، تح/إبراهيم البسيوني ١٧٣/٣، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، دت.

(٢) التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي ص١٤١، ومعجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي ص٢٢٨.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٣.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير، محمد الصابوني ٣٢٢/٢، دار القرآن الكريم، بيروت لبنان، ط٧، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

إياه؛ استهزاء وتكذيبا واستبعادا منهم لوقوعه حين دعاهم هود -عليه السلام- إلى توحيد الله – عز وجل- ونهاهم عن عبادة غيره.

ولم تتعرض كتب اللغة لتحديد الدلالة السياقية للفظ (تَجْهَلُونَ)، وبإنعام النظر في التفاسير ظهر جليا تباين آراء المفسرين في الدلالة السيا قية للفظ، فمنهم من جعل الجهل –ههنا- بمعنى: ضد العلم، فقد فسره الماتريدي بقوله: « تَجْهَلُونَ دين اللَّه، أو تجهلون آيات الله وقبولها، أو تجهلون نعم اللَّه وإحسانه، أو تجهلون أمر اللَّه تعالى» [(١)].

ومنهم من حمل الجهل على الصدود والإعراض عن توحيد الله، قال الواحدي معلقا على لفظ (تَجْهَلُونَ): «حين أدلكم على الرشاد وأنتم تصدون وتعرضون عنه»[(٢)].

ومنهم من حمل الجهل في الآية الكريمة على معنى الإصرار على الكفر، وهذا ما أشار إليه الشوكاني بقوله: « حَيْثُ بَقِيتُمْ مُصِرِّينَ عَلَى كُفْرِكُمْ، وَلَمْ تَهْتَدُوا بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ، بَلِ اقْتَرَحْتُمْ عَلَيَّ مَا لَيْسَ مِنْ وَظَائِفِ الرُّسُلِ» [(٣)].

ومنهم من جعل الجهل بمعنى: عدم العلم بحال الرسل، وهذا ما عبر عنه البيضاوي بقولـــه: « لا تعلمون أن الرســل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين »[(٤)].

المتأمل في الآية الكريمة يلمح جمال وعظمة التعبير في النظم القرآني، فلفظ (تَجْهَلُونَ) يحتمل كل هذه المعاني السابقة، غير أن السياق يرجح كون الجهل بمعنى: عدم العلم، فالدلالة السياقية لكلمة (تَجْهَلُونَ): تَجْهَلُونَ أمر

(١) تأويلات أهل السنة ٢٥٢/٩.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١١٢/٤.

(٣) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، ٢٧/٥-٢٨، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١١٥/٥.

ربكم من إرسال الرسل لهداية الناس، ودعوتهم إلى التوحيد، وإنذارهم وتخويفهم حال الكفر به والإعراض عنه، واختصاصه بإنزال العذاب وتعيين وقت نزوله.

وهذه الدلالة مستفادة من الكلمات والتراكيب السابقة على كلمة (تَجْهَلُونَ)، فقوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) معناه: أن العلم بوقت مجيء العذاب عند الله –سبحانه وتعالى– لا عند نبيه هود -عليه السلام- [1].

وكذلك قوله تعالى: (وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) فهذا التركيب يوضح وظائف الرسل وما يناط بهم من أعمال، فالمراد من قوله تعالى: (وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) أي: من الوحي والإنذار، يعني: أنا مبلغ، والعلم بوقت العذاب عند الله[2].

كما تستنبط الدلالة السياقية المشار إليها من تركيب (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) فإسناد حرف الاستدراك (لَكِنِّ) إلى ضمير المتكلم يكشف عن تلطف نبي الله هود -عليه السلام- في دعوة قومه إلى التوحيد والتعبير بلفظ (أَرَاكُمْ) يوضح حرصه على هداية قومه وإعطائهم الفرصة لمراجعة أنفسهم.

كما أن لفظ (قَوْمًا) يدل دلالة قاطعة على شمول الجهل كل أفراد قوم عاد وهذا ما أشار إليه ابن عاشور بقوله: « فإدخال حرف الاستدراك على ضمير المتكلم عدول عن الظاهر؛ لئلا يبادرهم بالتجهيل استنزالا لطائرهم، فجعل جهلهم مظنونا له لينظروا في صحة ما ظنه من عدمها. وإنما زيد (قوما) ولم يقتصر على (تَجْهَلُونَ) للدلالة على تمكن الجهالة منهم حتى صارت من مقومات قوميتهم وللدلالة على أنها عمت جميع القبيلة » [3].

ومن ثم يتضح لك أن الدلالة السياقية للفعل (تَجْهَلُونَ) قد تحددت من خلال دلالة الجمل السابقة عليه فضلا عن مناسبة الآية الكريمة للآية السابقة عليها.

---

(١) جامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٥/١٦ بتصرف يسير.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن للواحدي ١١٢/٤ .

(٣) التحرير والتنوير ٤٨/٢٦ .

كما لا يخفى على لبيب أن التعبير بصيغة المضارع في قوله تعالى: (تَجْهَلُونَ) يدل على التجدد والحدوث مما يدل دلالة قاطعة على جهل قوم عاد المطبق إذ طلبوا من نبي الله هود -عليه السلام- الإتيان بالعذاب واستعجاله ليس هذا فحسب وإنما تعيين وقت نزوله، مما يرجح الدلالة السياقية التي أشرت إليها، وهو ما يبرز دور الدلالة الصرفية في تحديد الدلالة السياقية للفعل (تَجْهَلُونَ)، ومن ثم يصنف الجهل الوارد في الآية بأنه من النوع الثاني (الجهل المركب).

أما ما يستلفت النظر في الآية الكريمة فهو ذلك التماسك النصي الجميل، فقد جاءت جملة (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) ردا على ما ورد في الآية السابقة من استعجالهم العذاب ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [1]. مبينة اختصاص الله –سبحانه وتعالى– بوقت مجئ العذاب .

أما جملة (وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) فهى جملة معترضة بين الجملة السابقة عليها وجملة (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) فقد حددت وظائف الرسل فقد بعثوا هداة مبلغين منذرين الأمر الذي يرجح الدلالة السياقية التي أشرت إليها.

---

(٧) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [2].

جاءت الآية الكريمة في سياق التنبيه على طريقة سلوك المؤمنين في معاملة من يعرف بالخروج عن طريقتهم وهي طريقة الاحتراز منه؛ لأن عمله إفساد في جماعتهم [3].

وقد اختلف المفسرون في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة) فقال

---

(١) سورة الأحقاف من الآية: ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات الآية: ٦.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١٨/٢٦.

السمرقندي: «وأنتم لا تعلمون بأمرهم » [١].

وفسرها مكي الأندلسي بقوله: «أي: قوم برآء مما قذفوا به» [٢].

وعلق عليها الواحدي قائلا: قوله تعالى: (قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) بحالهم وما هم عليه من الإسلام والطاعة» [٣].

لكن سياق الآية يحتم علينا الإقرار بأن الدلالة السياقية لكلمة (جَهَالَة) هي الخطأ.

وقد اقترب من هذا المعنى ابن الجوزي حيث قال: « والجهالة ههنا أن يجهل حال القوم، فتصبحوا على ما فعلتم من إصابتهم بالخطأ نادمين » [٤].

وقد صرح القرطبي بهذه الدلالة حيث قال: « (قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) أي: بخطأ»[٥].

وحقيقة الأمر أن هذه الدلالة مستفادة من دلالة بعض الكلمات والجمل السابقة على كلمة (جَهَالَة) واللاحقة لها أيضا.

بدءا من التعبير بحرف الشرط الذي يفهم منه معنى الشك، أشار إلى ذلك ابن عاشور بقوله: « وأوثر في الشرط حرف (إِنْ) الذي الأصل فيه أن يكون للشرط المشكوك في وقوعه؛ للتنبيه على أن شأن فعل الشرط أن يكون نادر الوقوع لا يقدم عليه المسلمون» [٦].

وكذلك التعبير بلفظ (فَاسِقٌ) الذي اختلفت فيه بعض أقوال المفسرين، فقال ابن زيد وسهل بن عبد الله: « الْفَاسِقُ الْكَذَّابُ. وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْوَرَّاقِ: هُوَ الْمُعْلِنُ بِالذَّنْبِ. وَقَالَ ابْنُ طَاهِرٍ: الَّذِي لَا يَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ » [٧].

---

(١) بحر العلوم للسمرقندي ٣/٣٢٥.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/٦٩٩٦.

(٣) التفسير الوسيط للواحدي ٤/١٥٢.

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٤/١٤٦.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٦١٢.

(٦) التحرير والتنوير ٢٦/٢٢٩.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٣١٢.

وقد اتفق المفسرون على أن الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْطٍ الذي نزلت فيه الآية الكريمة ظن[١] ذلك كما ورد عن ابن عبد البر، وليس في الروايات ما يقتضي أنه تعمد الكذب [٢].

مرورا بدلالة قوله: (فَتَبَيَّنُوا) الذي قرئ: (فتثبتوا) ومعناهما: متقارب، وهو ترك العجلة والتدبر والتأني في الأمر[٣]. وقوله: (تَبَيَّنُوا) أبلغ؛ لأنه قد يتثبت من لا يتبين[٤]. وانتهاء بدلالة قوله: (أَنْ تُصِيبُوا) فمعناه: لئلا تصيبوا[٥].

ومعنى الإصابة ههنا: هو الإصابة من الدم والمال بالقتل والأسر والاغتنام[٦].

فكل هذه الدلالات ترجح الدلالة السياقية التي أشرت إليها وهي (الخطأ).

أما بالنسبة لدلالة التراكيب اللاحقة للكلمة فتكمن في قوله تعالى: (فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)، فالندم: ضرب من الغم، وهو أن تغتم على ما وقع منك أنه لم يقع، وهو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام ولزام [٧].

وعرفه الدكتور/ محمد حسن جبل بقوله: الندم: محركة: الأسف الغم اللازم [٨].

وهذه الدلالة أيضا تدعم الدلالة السياقية المشار إليها آنفا؛ لأن الندم لا يكون إلا عن خطأ أو تقصير في حق الخالق أو المخلوق.

---

(١) نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله -ﷺ- إلى بني المصطلق وإلى قوم سواهم لجباية الصدقات، وكان بينه وبين أولئك القوم عداوة في الجاهلية، فخرجوا يتلقونه، فخافهم، فرجع فقال: إن القوم قد منعوا الصدقات. تأويلات أهل السنة ٣٢٦/٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢٢٩/٢٦.

(٣) تفسير القرآن للسمعاني ٢١٧/٥.

(٤) المحرر الوجيز لابن عطية ١٤٧/٥.

(٥) جامع البيان للطبري ٢٨٩/٢٢. والوجيز للواحدي ص١٠١٦.

(٦) تفسير القرآن للسمعاني ٢١٧/٥.

(٧) الكشاف للمخشري ٣٦٠/٤-٣٦١.

(٨) المعجم الاشتقاقي د/محمد حسن جبل ٢١٧١/٤.

وإذا تأملت الآية الكريمة شعرت بالترابط بين تراكيبها، وتلمس ذلك من إعادة الخطاب فيها بـ (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وفصله دون عاطف لتخصيص الغرض القادم (بالاهتمام)[١]. وكذلك التعقيب بجملة (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا) بعد أسلوب الشرط فكانت بمثابة التعليل لجملتي الشرط.

ثم تذييل الآية الكريمة بقوله تعالى: (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، ففي ذكره عقب قوله تعالى: (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) فائدتان:

إحداهما: تقرير التحذير وتأكيده، ووجهه هو أنه –تعالى– لما قال: (أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ) قال بعده: (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)، أي: وليس ذلك مما لا يلتفت إليه، ولا يجوز للعاقل أن يقول: هب أني أصبت قوما فماذا علي؟ بل عليكم منه الهم الدائم والحزن المقيم، ومثل هذا الشيء واجب الاحتراز منه.

والأخرى: مدح المؤمنين، أي: لستم ممن إذا فعلوا سيئة لا يلتفتون إليها بل تصبحون نادمين عليها [٢]. وهذا ما يمثل التماسك النصي في أبهى صوره.

أما عن العلاقة بين الآية الكريمة والآيات السابقة عليها، فمن الممكن وصفها بـ "علاقة الوحدة الموضوعية" فهي وثيقة الصلة بما قبلها من الآيات، إذ تحدثت سورة الحجرات عن إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وهي إما مع الله –تعالى– أو مع الرسول –ﷺ– أو مع غيرهم من أبناء الجنس، وهم على صنفين؛ لأنهم إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين وداخلين في رتبة الطاعة أو خارجا عنها وهو الفاسق والداخل في طائفتهم السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم، فهذه خمسة أقسام، أحدها: يتعلق بجانب الله، وثانيها: بجانب الرسول، وثالثها: بجانب الفساق، ورابعها: بالمؤمن الحاضر، وخامسها: بالمؤمن الغائب، فذكرهم الله –تعالى– في هذه

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٩/٢٦.

(٢) مفاتيح الغيب ١٠٠/٢٨.

السورة خمس مرات (يا أيها الذين آمنوا) وأرشدهم في كل مرة إلى مكرمة مع قسم من الأقسام الخمسة فقال أولا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)[١]، وذكر الرسول كان لبيان طاعة الله؛ لأنها لا تعلم إلا بقول رسول الله.

وقال ثانيا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)[٢] لبيان وجوب احترام النبي -ﷺ-، وقال ثالثا: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على أقوالهم، فإنهم يريدون إلقاء الفتنة بينكم، وبيَّن ذلك عند تفسير قوله: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا)[٣][٤]، فهناك ترابط دلالي بين الآيات الكريمة وهو ما أطلق عليه عند علماء اللغة "سياق السورة ".

وعلى سبيل المجاورة في السياق تجد ألفاظ الآية الكريمة قد جمعت بين لفظ "جَهَالَة" و "الندم" تأكيدا لفكرة الربط بين الجهل والمعاني المذمومة في النظم القرآني، الأمر الذي يشعرك بأن الشخص الموصوف بالجهل دائم الندم على ما قد حدث منه، يعيش في غم متواصل لا فرار منه.

تعقيب:

إذا أنعمت النظر في الآيات الكريمة السابقة يمكنك أن تستنبط النتائج التالية:

١- لما كان الجهل واحدا من العوارض المكتسبة (ضد السماوية) التي قد يتصف بها الإنسان ناسب أن يقترن ذكره بذكر المعاني المذمومة في القرآن

(١) سورة الحجرات من الآية: ١.

(٢) سورة الحجرات من الآية: ٢.

(٣) سورة الحجرات من الآية: ٩.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٢٨/٩٧-٩٨.

الكريم كاقترانه بالظلم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١).

٢- من عناصر السياق القرآني التي تسهم بدور كبير في تحديد الدلالة السياقية لكلمة ما مناسبة الآية الكريمة للآية السابقة عليها كما في قوله تعالى:﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾(٢). وهو ما يبرز التماسك النصي لآيات الذكر الحكيم.

٣- التنبيه على أهمية الدلالة الصرفية ودورها في تحديد الدلالة السياقية للفظ المراد الكشف عن معناه، وقد ظهر هذا جليا من خلال التعبير بصيغة المبالغة (فعول) في قوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا). وكذلك التعبير بصيغة المضارع الدالة على التجدد والحدوث في قوله تعالى: (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ).

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٧٢ .

(٢) سورة الأحقاف الآية: ٢٢-٢٣ .

المبحث الرابع: الجهل ودلالته الإثم

(١) – قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [١].

جاء سياق الآية الكريمة جريا على الأسلوب القرآني في إيراد القصص عقب حكاية مواقف الكفار وأقوالهم وتعجيزاتهم للتذكير والتمثيل والإنذار إذ تحكي الآية الكريمة الحوار الذي جرى بين نبي الله نوح -عليه السلام- والله –سبحانه وتعالى– حول غرق ابنه [٢].

وقد اختلفت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِينَ) فمنهم من جعل معنى الجهل متمثلا في لفظ (الجاهلين) بمعنى التكذيب فقد فسر الطبري قوله –عز وجل– (أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بقوله: « أنْ تبلغ الجهالة بك أن لا أفي لك بوعد وعدتك، حتى تسألني ما ليس لك به علم»[٣].

وتابعه السمرقندي بقوله: «(مِنَ الْجَاهِلِينَ) يعني ممن يترك أمري. ويقال من المكذبين بقدرة الله –تعالى– وقضائه» [٤].

كما ورد في المحرر: «معنى قولـــه: (إِنِّي أَعِظُكَ) في أن تعتقد أني لا أفي لك بوعـد وعدتك به» [٥].

<u>ومنهم من تردد بين أكثر من معنى</u> فقد قال ابن الجوزي: « قوله تعالى: (مِنَ الْجَاهِلِينَ) فيه ثلاثة أقوال:

<u>أحدها</u>: أن تكون من الجاهلين في سؤالك مَنْ ليس مِنْ حزبك.

<u>والثاني</u>: من الجاهلين بوعدي، لأني وعدت بإنجاء المؤمنين.

---

(١) سورة هود الآية:٤٦ .

(٢) التفسير الحديث دروزة محمد عزت ٥٢١/٣ ، ٥٢٢ دار إحياء الكتب العربية القاهرة طبعة ١٣٨٣هـ.

(٣) جامع البيان للطبري ٤٣٦/١٢ .

(٤) بحر العلوم للسمرقندي ١٥٤/٢ .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ١٧٨/٣ .

والثالث: من الجاهلين بنسبك؛ لأنه ليس من أهلك» [١].

ومنهم من جعل الجهل بمعنى الإثم في الآية الكريمة فقد روى الواحدي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله معلقا على لفظ (الْجَاهِلِينَ): « يريد الآثمين؛ لأن ذنب المؤمن جهل ليس بكفر» [٢]. وهذا ما أكده السمعاني بقوله: « قَوله: (مِنَ الْجَاهِلِينَ) مَعْنَاهُ: إِنِّي أحذرك أَن تكون من الآثمين، وذنب الْمُؤمن جهل، وذنب الْكَافِر كفر.

وَالْقَوْل الآخر: (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) يَعْنِي: أَن تَدْعُو بِهَلَاك الْكفَّار ثمَّ تطلب نجاة كَافِر.» [٣].

ولم تتعرض كتب اللغة لإلقاء الضوء على الدلالة السياقية للفظ (الجاهلين) في الآية –موضوع البحث– إلا أن الدكتور محمد حسن جبل رأى أن الجهل ههنا بمعنى الإثم فقد قال في قوله تعالى: « (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) أنهاك عن هذا السؤال طلب أن يُنَجِّي الله ابنه وأحذرك لئلا تكون أو كراهية أن تكون من الجاهلين أي الآثمين» [٤].

النسق النصي اللغوي للآية الكريمة يدل دلالة قاطعة على أن الدلالة السياقية للفظ (الجاهلين) هي الآثمون وهذه الدلالة مستفادة من دلالات بعض التراكيب في الآية الكريمة (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ): أي إن سؤالك يا نوح إياي أن أنجي مشركاً عملٌ منك غير صالح [٥]. وفي هذا التركيب يوضح الحق –سبحانه وتعالى– سبب استثناء ابن نوح من الناجين من الغرق.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣٧٨/٢ .

(٢) التفسير الوسيط ٥٧٦/٢ .

(٣) تفسير السمعاني ٤٣٣/٢ .

(٤) المعجم الاشتقاقي في المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ١٤٨٧/٣ (وعظ) .

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٤٠٤/٥ .

وكذلك قوله تعالى: (فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أي: لا تلتمس مني ملتمساً أو التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب، حتى تقف على كنهه [١].

وهنا يبين الله –ﷻ– لنبيه نوح -عليه السلام- أنه ما كان ينبغي لك أن تستعلم عن حال ولدك من الغرق؛ لإن الله –عز وعلا– قدّم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم، فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح، وأن كلهم ليسوا بناجين[٢]. وكذلك قوله: (إِنِّي أَعِظُكَ) أي أنهاك[٣].

ومن الثابت لغويا أن المعنى المحوري للوعظ كلام أو عمل يُنَبَّه به الإنسانُ إلى عواقب ما يفعله أو ما هو مُقْدِم عليه ليتوقَّفَ عنه، وقيد التوقف يؤخذ من التذكير بالعواقب. وكأن الأصل في معنى التركيب أنه خاص بالزجر عما له عواقب سيئة فحسب، ثم عُمِّم في الحضّ على ما له ثواب [٤].

كل هذه الدلالات تدل دلالة واضحة على أن لفظ (الْجَاهِلِينَ) في الآية الكريمة جاء بمعنى الآثمين؛ كما أن طلب نبي الله نوح –عليه السلام– المغفرة والرحمة من الله –تعالى– في قوله: (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي)[٥] يؤكد أن الجهل ههنا بمعنى الإثم.

ومن ثم فان الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلِينَ) قد تحددت من خلال دلالة الألفاظ والجمل السابقة عليها واللاحقة أيضا.

وكشف الرازي النقاب عن جعل الجهل كناية عن ارتكاب المعصية بقوله: «السَّبَبُ فِي إِطْلَاقِ اسْمِ الْجَاهِلِ عَلَى الْعَاصِي لِرَبِّهِ أَنَّهُ لَوِ اسْتَعْمَلَ مَا مَعَهُ مِنَ

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٣٩٩/٢ .
(٢) الكشاف للزمخشري ٤٠٠/٢.
(٣) الوجيز للواحدي ص٥٢٢.
(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/محمد حسن جبل ١٤٨٧/٣.
(٥) سورة هود من الآية ٤٧.

الْعِلْمِ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لَمَا أَقْدَمَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَلَمَّا لَمْ يَسْتَعْمِلْ ذَلِكَ الْعِلْمَ صَارَ كَأَنَّهُ لَا عِلْمَ لَهُ، فَعَلَى هَذَا الطَّرِيقِ سُمِّيَ الْعَاصِي لِرَبِّهِ جَاهِلًا، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَدْخُلُ فِيهِ الْمَعْصِيَةُ سَوَاءٌ أَتَى بِهَا الْإِنْسَانُ مَعَ الْعِلْمِ بِكَوْنِهَا مَعْصِيَةً أَوْ مَعَ الْجَهْلِ بِذَلِكَ» [1].

---

(٢) – قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2].

جاءت الآية الكريمة في سياق إصرار نبي الله يوسف –عليه السلام– على الطهر ورضاه بالسجن –مع ما فيه من الألم والشدة والمعاناة– ابتغاء مرضاة الله، على ألا يقع فريسة للمراودة من قبل امرأة عزيز مصر، ومن ثم الوقوع في المعصية من خلال استجابته لها ولرغبات صواحباتها.

فهذه الآية الكريمة تمثل استئنافا بيانيا؛ لأن ما حكي قبلها مقام شدة من شأنه أن يسأل سامعه عن حال تلقي يوسف-عليه السلام- فيه لكلام امرأة العزيز، وهذا الكلام مناجاة لربه الذي هو شاهدهم، فالظاهر أنه قال هذا القول في نفسه، ويحتمل أنه جهر به في ملئهن تأييسا لهن من أن يفعل ما تأمره به[3].

وقد تباينت آراء المفسرين في تحديد الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِينَ) فقد فسره الطبري بقوله: « وأكن بصبوتي إليهن، من الذين جهلوا حقك، وخالفوا أمرك ونهيك» [4]. وتابعه في ذلك صاحب البرهان[5]. ومنهم من جعل الجهل

---

(١) مفاتيح الغيب ٧/١٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٣.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦٥/١٢.

(٤) جامع البيان للطبري ٨٩/١٦.

(٥) البرهان في علوم القرآن، لعلي بن إبراهيم الحوفي–دراسة وتحقيقا– رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير، للباحث إبراهيم عناني عطية ص١٩٤.

ههنا بمعنى الذم، فقد علق السمعاني على لفظ (الْجَاهِلِينَ) بقوله: « قيل مَعْنَاهُ: وأكن من المذمومين كَمَا يذم الْإِنْسَان بِفعل مَا يقدم عَلَيْهِ جَاهِلا»(١).

ومنهم من حمل الجهل في الآية الكريمة على الإثم، وهذا ما صرح به السمرقندي في تفسيره للفظ (الْجَاهِلِينَ) بقوله: «يعني من المذنبين»(٢). وهو ما أكده النيسابوري أيضا، فقد روى عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله: «يريد المذنبين الآثمين» (٣).

كما ألمح إلى هذه الدلالة الثعلبي في تعليقه على لفظ (الْجَاهِلِينَ) بقوله: « من القوم الخاطئين» (٤).

والمتتبع لألفاظ الآية الكريمة وترتيب جملها المتأمل في دلالات ألفاظها وتراكيبها يدرك صدق ما ذهب إليه السمرقندي، فلفظ (الْجَاهِلِينَ) يعني: المذنبين أو الآثمين، وهذه الدلالة السياقية مستفادة من قوله: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ) الذي يدل على صبر يوسف -عليه السلام- الممزوج بضبط النفس وصونها عن الوقوع في المعصية. فقوله: (أَحَبُّ إِلَيَّ) أي أسهل علي وأهون من الوقوع في المعصية(٥).

وكذلك قوله تعالى: (مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) الذي يحمل في طياته الأمور التالية:

١– المحاولة العبثية الفاشلة من قبل امرأة العزيز ودعوتها نبي الله يوسف –عليه السلام– إلى نفسها.

٢– تخويف صواحبات امرأة العزيز نبي الله يوسف –عليه السلام– من مخالفة أمرها وحثة على قضاء حاجتها.

---

(١) تفسير السمعاني ٢٨/٣.

(٢) بحر العلوم ١٩١/٢.

(٣) التفسير البسيط ١٠٧/١٢.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٢١٦/٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٤/٩.

٣- المحاولة الفاشلة من قبل صواحبات امرأة العزيز لاستمالة قلب يوسف -عليه السلام- .

وهذا ما أشار إليه صاحب أنوار التنزيل بقوله: «إسناد الدعوة إليهن جميعاً؛ لأنهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها، أو دعونه إلى أنفسهن» (١).

كما أن الدلالة السياقية المشار إليها تستنبط من قوله تعالى: (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) فهو خبر مستعمل في التخوف والتوقع التجاء إلى الله وملازمة للأدب نحو ربه بالتبرؤ من الحول والقوة والخشية من تقلب القلب ومن الفتنة بالميل إلى اللذة الحرام. فالخبر مستعمل في الدعاء، ولذلك فرع عنه جملة (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ)(٢). ولا يخفى على لبيب أن الكيد ههنا يقصد به الاحتيال والاجتهاد(٣).

كما تفهم الدلالة السياقية من قوله تعالى: (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) فالمراد منه: أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي(٤). غير أن اللافت للنظر هنا هو استعمال لفظ (أَصْبُ) فهي كلمة مشعرة بالميل فقط، لا بمباشرة المعصية .... والصبابة إفراط الشوق(٥).

ومن ثم فإن سياق الآية الكريمة يؤكد أن لفظ (الْجَاهِلِينَ) يعني المذنبين الآثمين.

وإذا أنعمت النظر في الآية الكريمة ظهر جليا التماسك النصي فيها من خلال العلاقات التي تربط بين الجمل والتراكيب الواردة فيها.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١٦٣/٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٦/١٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٥/٩.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٦٣/٣.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان ٢٧٣/٦.

فقوله تعالى: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) يمثل مناجاة يوسف -عليه السلام- ربه. ثم جاءت جملة (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) التي توضح لجوء يوسف -عليه السلام- إلى الله –سبحانه وتعالى– واستقوائه بلطفه؛ مخافة أن يقع في المعصية. ثم تلتها جملة (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) التي كانت سببا في الجملة السابقة عليها.

وطبعي أن ينتهي النص بقوله: (وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ) الذي يمثل عاقبة الأمر، وهو ما يفسر إلحاح نبي الله يوسف –عليه السلام– في الدعاء، وإصراره على طلب العصمة من الله –عز وجل–، ومما يستلفت النظر في الآية الكريمة ارتباط معنى الجهل بالصفات المذمومة، فقد ورد في سياق الآية الكريمة ذكر الكيد والصبابة، وكأن النظم القرآني يوضح السمات النفسية للشخص المتصف بالجهل من الاحتيال والميل إلى الشهوة واقتراف الآثام.

---

(٣) – قال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [(١)].

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية للفظ (جَاهِلُونَ) وفقا لتفسيرهم معنى الجهل الوارد في الآية الكريمة. فمنهم من حمل الجهل على حقيقته مثل الطبري، فقد فسر قوله تعالى: (جَاهِلُونَ) بقوله: « يعني في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف، وما إليه صائر أمره وأمركم» [(٢)]. وتابعه في ذلك مكي الأندلسي معلقا عليه بقوله: « أي جاهلون بعاقبة ما تفعلون. وقيل: المعنى: إذ أنتم صغار، جهال»[(٣)].

---

(١) سورة يوسف الآية: ٨٩.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٤٤/١٦.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٦٢٨/٥.

ومنهم من جعل الجهل بمعنى الإثم أو الذنب مثل السمرقندي، فقد قال في تفسيره لفظ (جَاهِلُونَ): «يعني: مذنبون ووصف لهم ما فعلوا به ..» [١]. وهذا ما أكده السمعاني بقوله: « جاهلون معناه: إذ أنتم آثمون عاصون» [٢].

ومنهم من تردد بين أكثر من دلالـــة، فقد قال الماتريدي: « قال بعض أهل التأويل: (إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) أي: مذنبون؛ ولكن إذ أنتم جاهلون قدر يوسف ومنزلته؛ لأنهم لو علموا ما قدر يوسف عند اللَّه؛ وما منزلته ما قالوا: (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا) » [٣].

وقال ابن الجوزي معلقا على قوله تعالى (جَاهِلُونَ): فيه أربعة أقوال: أحدها: إِذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس. والثاني: مذنبون، قاله مقاتل. والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرحم، وموافقة الهوى. والرابع: جاهلون بما يؤول إِليه أمر يوسف، ذكرهما ابن الأنباري [٤].

- **<u>لكن النسق النصي للآية الكريمة يدل دلالة قاطعة على أن الدلالة السياقية للفظ (جَاهِلُونَ) هي: آثمون عاصون، وهذه الدلالة مستفادة من الدلالات السياقية التالية:</u>**

١- دلالة جملة (مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ) التي تشعر بارتكاب إخوة يوسف ذنبا عظيما تجاه نبي الله يوسف –عليه السلام– وهذا ما تلمسه في كلام النيسابوري معلقا على هذا التركيب، فقد قال: هذا استفهام يتضمن التذكير بحال يقتضي توبيخهم عليه، قال ابن الأنباري: هذا الاستفهام يعني به تعظيم القصة، وتلخيصه: ما أعظم ما ارتكبتم من يوسف، وما أسمج ما أتيتم من قطيعة

(١) بحر العلوم ٢٠٨/٢.
(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٦١/٣.
(٣) تأويلات أهل السنة ٢٨٢/٦.
(٤) زاد المسير في علم التفسير ٤٦٨/٢.

رحمه وتضييع حقه، كما تقول: هل تدري من عصيت؟ هل تعرف من عاديت[١].

٢- موقعية المعطوف كلمة (أَخِيهِ) وما أضافته من أبعاد دلالية، فقد نبهت على أن ما اقترفوه من الذنب لم يقتصر على نبي الله يوسف –عليه السلام– وإنما امتدت آثاره من عذاب نفسي وقطع رحم وإدخال الحزن لتشمل أخاه بنيامين، مما يدل على عظم الذنب الذي يستوجب التوبة، وهذا ما نلاحظه في قول النيسابوري: « قوله تعالى: (وَأَخِيهِ) يعني: ما فعلوا به من تعريضه للغم، وإدخالهم الجزع والحزن عليه بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه» [٢].

كما أشار إليه ابن عطية بقوله معلقا على موقعية لفظ (أَخِيهِ): « يريد من التفريق بينهما في الصغر والتمرس بهما وإذاية بنيامين. بعد مغيب يوسف، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه» [٣].

وهو ما يبرز القيمة العظيمة للدلالة النحوية وأثرها في تحديد الدلالة السياقية للفظ (جَاهِلُونَ).

٣- التعقيب على تركيب (هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ) بقوله تعالى: (إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) وما يحمل من دلالات تظهر قبح ما فعلوه وعظم الذنب الذي ارتكبوه، الأمر الذي يستوجب الندم عليه والتوبة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وهذا ما تشعر به في تفسير الزمخشري لقوله: (إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) فقد قال: « هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه؛ لأنّ علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين، لا معاتبة وتثريباً، إيثاراً لحق الله على حق نفسه»[٤].

---

(١) التفسير البسيط ٢٣٢/١٢.

(٢) السابق نفسه ٢٣٢/١٢.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٧٦/٣.

(٤) الكشاف للزمخشري ٥٠١/٢.

وبعد إنعام النظر في الآية الكريمة يبدو جليا أن الدلالة السياقية للفظ (جَاهِلُونَ) قد تحددت من خلال دلالة بعض الكلمات والجمل السابقة عليها.

تعقيب:

المتأمل في الآيات الكريمة السابقة يمكنه أن يستنبط بعض النتائج التالية:

١- أن الدلالة السياقية للكلمة تتحدد من خلال دلالة بعض الكلمات والجمل السابقة عليها مثل قولـه تعالى: (أَحَبُّ إِلَيَّ)، وقولـه: (تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ)، وكلمة (أَصْبُ)، فقد أسهمت هذه الكلمات والجمل في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلِينَ) في قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ).

كما ترجح دلالة بعض التراكيب اللاحقة للكلمة موضوع الدراسة دلالة سياقية معينة لكلمة ما مثل قوله تعالى: (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي)، فقد أسهمت دلالة هذه الجملة في ترجيح الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلِينَ) في قوله تعالى: (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، فقد أكدت أنها جاءت بمعنى: الآثمين.

٢- أهمية الدلالة النحوية ودورها البارز في تحديد الدلالة السياقية للكلمة، وظهر هذا جليا في موقعية ودلالة المعطوف (وَأَخِيهِ) في قوله تعالى: (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ)، فقد رجحت أن الدلالة السياقية لكلمة (جَاهِلُونَ) هي: آثمون.

****

المبحث الخامس: الجهل ودلالته الشرك

(١) - قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[١].

جاءت الآية الكريمة في سياق مظاهر تولي الله -سبحانه وتعالى- ورحمته المؤمنين من عباده، فقد أنزل الأمن عليهم، وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم.

ويبدو من السياق أن هذا قد كان بعد معركة "أحد " وقبل النفير الذي أعلنه الرسول -ﷺ- في اليوم الثاني، ويمكن أن يكون النعاس قد أصابهم مرتين: مرة ليلة المعركة ليواجهوا المعركة مستريحين، ومرة بعد المعركة لينسوا آثارها[٢].

أجمع المفسرون على مجيء الجهل بمعنى: الشرك في الآية الكريمة، فقد روى الطبري عن قتادة في قوله: (ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) « قال: ظن أهل الشرك»[٣].

وقال الراغب معلقا على قوله تعالى: (ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ): « أي ظن الكفار»[٤]. وقال البغوي مفسرا قوله: (ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) أي: كظن أهل الجاهلية والشرك[٥].

وقد تحددت الدلالة السياقية للفظ (الجاهلية) من خلال دلالة بعض التراكيب السابقة عليها، وكذلك اللاحقة لها، ويبدو ذلك جليا من دلالة قوله تعالى: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ)، فقد ورد الفعل (أَهَمَّ) مؤكدا بدخول حرق (قَدْ) عليه، الأمر الذي يعني تمكن النفاق من قلوب هذه الفئة.

---

(١) آل عمران من الآية: ١٥٤.

(٢) الأساس في التفسير ٩٠٣/٢.

(٣) جامع البيان للطبري ١٦٦/٦.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني٩٣١/٣.

(٥) تفسير البغوي ٥٢٥/١.

وكذلك التعبير بلفظ (أَهَمَّتْهُمْ – أَنْفُسُهُمْ) مما يدل على خبث أنفسهم وعجزهم عن تدبر وفهم حكمة الله –تعالى– ويأسهم من نصرة الله –سبحانه وتعالى– ، وقد عبر الشوكاني عن هذا بقوله: «أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ: حَمَلَتْهُمْ عَلَى الْهَمِّ، أَهَمَّنِي الْأَمْرُ: أَقْلَقَنِي، وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ: صَارَتْ هَمَّهُمْ، لَا هَمَّ لَهُمْ غَيْرُهَا» (١).

وكذلك دلالة تركيب (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) الذي يوحي بيأس هؤلاء المنافقين، وعدم ثقتهم في نصر الله –تعالى–، وهذا ما أشار إليه الراغب الأصفهاني بقوله: « هذا تنبيه على جهلهم وعدم معرفتهم بحكمة الله ونعمته في قهر الكفار للمسلمين في بعض الأحوال، وأنها نعمة» (٢).

أما التراكيب اللاحقة لكلمة (الْجَاهِلِيَّةِ) فقوله تعالى: (يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا)، فهذه الجملة تدل دلالة واضحة على عدم اكتمال الإيمان في قلوبهم، فقد دب اليأس في نفوسهم، فهم أقرب إلى حال المشركين المكذبين بوعد الله.

وهذا ما عبر عنه السمرقندي في تفسيره لهذا التركيب بقوله: « أي يقولون لو كان ديننا حقا ما قتلنا هاهنا» (٣). ومن ثم فإن المعنى العام للآية: أَن الله تَعَالَى أَرَادَ تمييز الْمُؤمنِينَ من الْمُنَافِقين، فأوقع النعاس على الْمُؤمنِينَ أَمَنَة لَهُم، حَتَّى أمنُوا، وَلم يُوقع على الْمُنَافِقين فبقوا على الْخَوْف(٤).

ولا يخفى على لبيب أن دلالة تراكيب الآية الكريمة ترجح مجيء لفظ (الْجَاهِلِيَّةِ) بمعنى الشرك، وفي الآية دلالة واضحة على أن الشخص الموصوف بالجهل يبدو ضعيفا لا يقوى على مجاهدة نفسه، فأصبح أسيرا لشهواته عاجزا عن فهم حكمة الله وتدبرها.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٤٤٨/١.

(٢) تفسير الراغب ٩٣١/٣. بتصرف يسير.

(٣) بحر العلوم ٢٥٨/١.

(٤) تفسير السمعاني ٣٦٩/١.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١].

جاءت الآيتان في سياق بيان تعنت اليهود مع رسول الله –ﷺ– **ففي قولـــــه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) وجهان:**

أحدهما: أنّ قريظة والنضير طلبوا إلى رسول الله–ﷺ– أن يحكم بما كان يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى. وروى أنّ رسول الله –ﷺ– قال لهم: (القتلى سواء) فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت.

والآخر: أن يكون تعبيراً لليهود بأنهم أهل كتاب وعلم، وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل، لا تصدر عن كتاب ولا ترجع إلى وحي من الله تعالى [٢].

جاء الجهل في الآية الكريمة بمعنى الشرك، فقوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ) يعني: أحكام عبَدة الأوثان من أهل الشرك. أشار إلى هذه الدلالة السياقية الطبري[٣].

كما فسر البيضاوي الجاهلية بقوله: « والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى»[٤].

وقد تحددت الدلالة السياقية لكلمة الجاهلية من خلال دلالة بعض الكلمات والتراكيب السابقة عليها واللاحقة لها أيضا. وتستنبط هذه الدلالة من الضمير في قوله: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ) فهو عائد على اليهود. وقيل: على جميع

(١) سورة المائدة الآيتان: ٤٩–٥٠ .

(٢) الكشاف للزمخشري ٦٤١/١ .

(٣) جامع البيان ٣٩٤/١٠ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣٠/٢ .

المتحاكمين [١]. كما تفهم من قوله تعالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) أي: احكم بين أهل الكتاب بهذا القرآن، ولا تتبع أهواءهم الزائفة [٢].

وكذلك تركيب (وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) أي: احْذَرْ هؤلاء الأعداء أن يصرفوك عن شريعة الله فإنهم كذبة كفرة خونة [٣].

كما تستنبط من جملة (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) يعني اليهود. والمعنى: أن أهل الجاهلية كانوا يجعلون حكم الشريف خلاف حكم الوضيع ... وكانت اليهود تقيم الحدود على الضعفاء الفقراء، ولا يقيمونها على الأقوياء الأغنياء، فضارعوا الجاهلية في هذا الفعل[٤].

أما التراكيب اللاحقة لكلمة الجاهلية فتتمثل في تركيب (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ)[٥] فقد نهى الله –تعالى– عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والمشركين مما يرجح السياقية التي أشرت إليها.

والاستفهام في قوله (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ) للإنكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر، والمعنى: أيعرضون عن حكمك بما أنزل الله عليك ويتولون عنه ويبتغون حكم الجاهلية، والاستفهام في (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً) للإنكار أيضا[٦].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٤/٢٨٥ .

(٢) صفوة التفاسير ١/٣٢٠ .

(٣) صفوة التفاسير ١١/٣٢٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/٢١٤ .

(٥) سورة المائدة من الآية: ٥١ .

(٦) فتح القدير للشوكاني ٢/٥٦ .

وعلق ابن عاشور على مجيء لفظ الجاهلية في النظم القرآني بقوله: وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك؛ تنفيرا من الجهل، وترغيبا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم [١].

بيد أن اللافت للنظر في الآيتين الكريمتين هو اقتران ذكر لفظ الجهل بذكر المعاني المذمومة، فقد اقترن لفظ الجهل بذكر معنى الفسق (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ* أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) على سبيل المجاورة في السياق.

---

(٣) قال تعالى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [٢].

لما بين الحق –سبحانه وتعالى– أنه هو الذي يتولى نبيه –ﷺ– وأن الأصنام وعابديها لا يقدرون على الإيذاء والإضرار، بين في هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس فقال: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ)[٣].

جاء لفظ (الْجَاهِلِينَ) بمعنى: المشركين في هذه الآية الكريمة؛ وذلك لأن سياق ما قبله وهو (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا) [٤] أي: المشركين لا يسمعوا؛ حيث أخبر الله عنهم بأنهم لا يبصرون حين لم ينتفعوا بأبصارهم، وإن أبصروا بها غير ما فيه نفعهم، وإن كانت كلمة (الْجَاهِلِينَ) تتعدد معانيها إلا أن السياق كان له دوره البارز في تحديد دلالتها السياقية، وقد وقف بعض المفسرين على هذه الدلالة السياقية، فها هو ابن أبي زمنين يقول مفسرا قوله تعالى: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) : « يعني: المشركين»[٥].

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٦/٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية: ١٩٩.

(٣) مفاتيح الغيب ٤٣٤/١٥.

(٤) سورة الأعراف من الآية: ١٩٨.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٦٢/٢. والكشاف للزمخشري ١٩٠/٢.

كما أشار إلى هذه الدلالة السياقية النيسابوري بقوله: « والكناية على هذا تعود إلى الجاهلية في قوله: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وهم: المشركون » [١].

وجاء في تفسير البغوي: « قال عطاء: وأمر بالعرف: يعني بـ "لا إله إلا الله"، وأعرض عن الْجَاهِلِينَ : أبي جهل وأصحابه، نسختها آية السيف »[٢].

كما قال صاحب الغرائب في قوله تعالى: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ): « أي: المشركين، وهذه منسوخة بآية القتال» [٣].

وفي الإعراض عن الْجَاهِلِينَ الصبر، والحلم، وتنزيه النفس عن مخالطة السفيه، ومنازعة اللجوج، وغير ذلك من الأفعال[٤].

ومما يكشف المعنى المراد من كلمة (الْجَاهِلِينَ) ما ذكره ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ): « "وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ" ضابط عظيم لمقدار تخصيص الأمر بالعفو ثم العفو عن المشركين، المقصود –هنا– أسبق أفراد هذا العموم إلى الذهن من بقيتها، ولم يفهم السلف من الآية غير العموم » [٥].

بعد تتبع الدلالات السياقية لكلمة (الْجَاهِلِينَ) في النظم القرآني يظهر جليا أنها جاءت بمعنى السفهاء، ووردت بمعنى الذين يجهلون حكمة الله ومشيئته الأزلية، كما جاءت بمعنى الآثمين، وفي هذه الآية جاءت بمعنى المشركين؛ وذلك لأن معنى الكلمة يتعدد تبعا لتعدد السياقات التي تقع فيها، « فتكون الكلمة فصيحة بملاءمتها لجاراتها، وتعلقها بأخواتها، وارتباطها بهم، ووقوعها في موقعها التي لا ترضى به بدلا، ولا تبغي به حولا، ويحدث من ارتباطها

(١) التفسير البسيط ٥٥٦/٩.

(٢) تفسير معالم التنزيل، للبغوي ٢٦٠/٢.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تح الشيخ/زكريا عميرات ٣٦٥/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، الطلعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٦٨٨/٤.

(٥) التحرير والتنوير ٢٢٧/٩.

وتعلقها بجاراتها صورة تؤدي دورا يزيد المعنى المراد وضوحا، ويمكنه في نفس المتلقي»[١]. وذلك لأن السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق –أيضا– هو الذي يعطيها[٢] قيمة حضورية [٣]. ومن هنا كان للسياق متمثلا في الآية الكريمة للآية السابقة عليها أثره البالغ في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلِينَ).

---

(٤) قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[٤].

جاءت الآية الكريمة في سياق توجيه الخطاب لأزواج رسول الله –ﷺ– ليدلهن على المقام الأعلى لتقوى النساء[٥].

وقد علقت كتب اللغة على كلمة (جَاهِلِيَّة) من حيث الدلالة وحدودها الزمنية، حيث ورد في معجم متن اللغة: « هذا الاسم على إطلاقه يشمل كل الزمن الذي عبد العرب فيه الأوثان، أي زمن ضلالتهم، وهو زمن غير معلوم حده على التحقيق»[٦].

لكن أحمد رضا العاملي كان أكثر تحديدا في تناوله لمعنى الكلمة

---

(١) ينظر: من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د/عبد العزيز عبد المعطي عرفة ١/٢٠، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

(٢) وردت بلفظ: "يخلق لها" ولما كان اللفظ يستعمل في جانب الله –تعالى– استعضت عنه بلفظ "يعطيها". اللغة لجوزيف فندريس، تعريب/ عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص ص٢٣١، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٠م.

(٣) السابق ص ٢٣١. بتصرف يسير.

(٤) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

(٥) الأساس في التفسير ٨/٤٤٢٥.

(٦) معجم متن اللغة، أحمد رضا ١/٤٤، دار مكتبة الحياة – بيروت ١٣٧٧هـ–١٩٥٨م.

إذ قال: « إن هذا الاسم على إطلاقه يشمل كل أزمان الضلالة عند العرب. ولكن المألوف المتعارف بين أهل الأخبار وحملة التاريخ العربي أن إطلاقه لا يكاد يتجاوز أواخر المئة الخامسة بعد المسيح. وقال ابن خالويه: إن هذا اللفظ حدث في الإسلام للزمن الذي سبق البعثة النبوية»(١).

ومن ثم فإن الجاهليـــة: هي ما كان عليه العرب قبل الإســـلام من الجهـــالة والضلالة (٢).

أما بالنسبة للجاهلية الأولى فقد ورد في الإبانة: « والجاهلية: جاهليتان، فالجاهلية الأولى جاهلية إبراهيم –عليه السلام– وهو قوله– عز وجل–: (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) التي وُلِدَ فيها إبراهيم –عليه السلام– كانوا أهل زينة وأموال، كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره، وكان ذلك في زمان نمرود الجبار وكانوا كفاراً»(٣).

وتباينت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلِيَّةِ) حال وصفها بـ (الْأُولَى)، فقد اتفقوا في دلالتها لكنهم اختلفوا في تحديد الفترة الزمنية الخاصة بها.

فقد علق عليها الطبري بقوله: «إن أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى؛ فقال بعضهم: ذلك ما بين عيسى ومحمـــد –عليهما الســـلام–. وقال آخرون: ذلك ما بين آدم ونوح.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله –تعالى ذكره– نهى نساء النبي أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى» (٤).

ورجح الزجاج زمنها في الفترة ما بين زمن النبي عيسى –عليه السلام–

(١) معجم متن اللغة، أحمد رضا ٤٤/١.

(٢) القاموس الفقهي، ص ٧٢، حرف الجيم.

(٣) الإبانة في اللغة العربية، لسلمة بن مسلم العوتبي ٣٧٧/٢.

(٤) جامع البيان للطبري ٢٦٠/٢٠-٢٦١.

إلى سيدنا محمد -ﷺ- فقال: « الجاهلية الأولى من كان من لدن آدم إلى زمن نوح، وقيل: من زمن نوح إلى زمن إدريس. وقيل: منذ زمن عيسى إلى زمن النبي -ﷺ-؛ لأنهم هم الجاهليةُ المعروفُونَ؛ لأنه روى أنهم كانوا يتخذون -البغَايَا - وهن الفواجر يُغْلِلْنَ لَهُمْ» (١).

ولم يحدد ابن عاشور فترة زمنية محددة لـ (الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) مكتفيا بقوله: « ووصفها بـ (الْأُولَى) وصف كاشف؛ لأنها أولى قبل الإسلام، وجاء الإسلام بعدها فهو كقوله تعالى: (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى)(٢) وكقولهم: العشاء الآخرة، وليس ثمة جاهليتان أولى وثانية » (٣).

لكن السياق قد حدد الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِيَّةِ) ههنا وهي: فترة موغلة في القدم من حياة العرب قبل الإسلام، عبد العرب فيها الأوثان، وعم فيها الضلال والفجور.

وهذه الدلالة مستفادة من دلالات بعض الجمل السابقة على لفظ (الْجَاهِلِيَّةِ) واللاحقة له أيضا. فتستنبط من قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) أي: الزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة (٤).

قال المبرد: « هُوَ مِنَ الْقَرَارِ، لَا مِنَ الْوَقَارِ، تَقُولُ: قَرَرْتُ بِالْمَكَانِ بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَالْأَصْلُ: اقْرِرْنَ بِكَسْرِ الرَّاءِ، فَحُذِفَتِ الرَّاءُ الْأُولَى تَخْفِيفًا، كَمَا قَالُوا فِي ظَلِلْتُ ظَلْتُ، وَنَقَلُوا حَرَكَتَهَا إِلَى الْقَافِ، وَاسْتُغْنِيَ عَنْ أَلِفِ الْوَصْلِ بِتَحْرِيكِ الْقَافِ» (٥).

كما تفهم من قوله تعالى: (وَلَا تَبَرَّجْنَ) فالتبرج: إظهار الزينة وما يُسْتَدْعَى

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٥/٤.
(٢) سورة النجم الآية: ٥١.
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣/٢٢.
(٤) الأساس في التفسير ٤٤٢٥/٨.
(٥) فتح القدير للشوكاني ٣١٩/٤.

بـه شـهوة الرجـل[١]. أو: إظهـار المـرأة محاسـن ذاتهـا وثيابهـا وحُلِيّهَـا بمـرأى الرجال[٢].

أمـا الـدلالات اللاحقـة للفظ (الْجَاهِلِيَّـةِ) فتتمثل فـي قولـه تعـالى: (لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) فـالمراد بـالرجس: الإثم والذنب المدنسـان للأعراض الحاصـلان بسبب ترك ما أمر الله به، وفعل ما نهى عنه، فيدخل تحت ذلك كل ما ليس فيه له رضا[٣]. فأصل الرجس: كل خبيث من مأكول أو عمل أو فاحشة [٤].

وكذلك قوله تعالى: (وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) يعني: من الإثم والذنوب [٥].

وعلـى سبيل المجاورة فـي الكـلام تجد أن ألفاظ الآيـة الكريمـة قد جمعت بـين لفـظ (الْجَاهِلِيَّـةِ) و(الـرِّجْسَ) ترسـيخا لفكـرة الـربط بـين الجهـل والمعـاني المذمومة في النظم القرآني الذي يرسم لنا في هذه الآيـة الكريمـة صـورة صـادقة لحيـاة العـرب قبـل الإسـلام، كاشـفا النقـاب عـن ملامحهـا القبيحـة مـن عبـادة الأوثان وانتشار الضلال والفجور وإتيان الفواحش.

فالآيـة تحمل فـي طياتها توجيها من الله –ﷻ– لعبـاده المؤمنين بالابتعـاد عن نهج الجهال الحمقى، وعدم مقاربـة أحوالهم، فالإنسـان الموصـوف بالجهل يعيش في ضلال دائم يتلذذ بفعل الرذائل لا يتورع عن ارتكاب المحرمات.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٥/٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٢/٢٢.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٣٢٠/٤.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي ٦٠/٣، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ٣٩٨/٣.

(٥) بحر العلوم للسمرقندي ٦٠/٣.

(٥) قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[١].

جاءت الآية الكريمة في سياق أمر الله –تعالى– رسوله الكريم–ﷺ– أن يوبخ الكافرين على جهالاتهم [٢]؛ إذ دعوه من جهلهم إلى عبادة آلهتهم، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما–أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله –ﷺ– إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) [٣].

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلُونَ) فقد فسرها الطبري بقوله: «أيها الجاهلون بالله» [٤]. وعلق عليها السمعاني بقوله: « قَوْله: (الْجَاهِلُونَ) أَي: الجاهلون بِاللَّه وسلطانه وَقدرته وعظمته» [٥]. وقال النسفي في تفسيرها: « أيها الجاهلون بتوحيد الله»[٦].

إلا أن السياق يرجح مجيء كلمة (الْجَاهِلُونَ) في هذه الآية الكريمة بمعنى (المشركين).

وقد أشار إلى هذه الدلالة السمرقندي بقوله: « يعني: أيها المشركون»[٧]، ووافقه في ذلك ابن أبي زمنين، فقد فسر لفظ (الجاهلون) بقوله: « يعني: المشركين دعوه إلى عبادة الأوثان»[٨].

---

(١) سورة الزمر الآية: ٦٤ .

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد سيد طنطاوي ٢٤٤/١٢ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى .

(٣) الأساس في التفسير ٤٩٠٩/٩ .

(٤) جامع البيان ٢٤٣/٢٠ .

(٥) تفسير السمعاني ٤٧٩/٤ .

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١٩١/٣ ،

(٧) بحر العلوم للسمرقندي ١٩٢/٣.

(٨) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١١٩/٤.

وهذه الدلالة السياقية مستفادة من دلالة بعض التراكيب السابقة على كلمة (الْجَاهِلُونَ) واللاحقة لها أيضا.

أما التراكيب السابقة فقوله تعالى: (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ) أي: أفغير الله أعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد[١]؛ فقد تقدم على الآية –محل الدراسة– وصف الإله بكونه خالقا للأشياء وبكونه مالكا لمقاليد السماوات والأرض، وكون الأصنام جمادات لا تضر ولا تنفع [٢].

وأما التراكيب اللاحقة فتتمثل في دلالة قوله تعالى: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) أي: يبطل عملك ويفسد، يقال: حبط بطنه من داء إذا فسد منه [٣]، فمعناه: لو أشركت بالله ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين في الآخرة [٤].

السر في إطلاق الجهل على الشرك

بين أبو حيان العلة في إطلاق الجهل على الشرك بقوله: « لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِنْ غَبِيٍّ جَاهِلٍ، نَادَاهُمْ بِالْوَصْفِ الْمُقْتَضِي ذَلِكَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْجاهِلُونَ»[٥].

إلا أن أهم ما يستلفت النظر في الآية الكريمة هو ذلك التماسك النصي الجميل الذي يمكنك أن تلمسه من وجهين:

الأول: علاقة كلمة (الْجَاهِلُونَ) بالجمل السابقة عليها، فتتابع الجمل الأربع السابقة على الآية الكريمة –موضوع الدراسة– بدءا من قوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[٦] مرورا بقوله: (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [٧]، وقوله

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٨/٥.
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٤٧١/٢٧.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٦٣٧٢/١٠.
(٤) بحر العلوم للسمرقندي ١٩٢/٣.
(٥) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ٢١٨/٩.
(٦) سورة الزمر من الآية: ٦٢.
(٧) سورة الزمر من الآية: ٦٢.

تعالى: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [١]، وانتهاء بقوله: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [٢].

هذا استئناف تمهيد لقوله: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) في ذكر تمسك الرسول -ﷺ- والرسل من قبله بالتوحيد ونبذ الشرك والبراءة منه. فقوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) هذه الجملة أدخلت كل موجود في أنه مخلوق لله تعالى، فهو ولي التصرف فيه. والجملة الثانية: (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) جيء بها معطوفة؛ لأن مدلولها مغاير لمدلول التي قبلها. وهي تفيد أنه -سبحانه وتعالى- موكول إليه جنس التصرف وحقيقته التي تعم جميع أفراد ما يتصرف فيه.

والجملة الثالثة: (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) جيء بها مفصولة؛ لأنها تفيد بيان الجملة التي قبلها، فإن الوكيل على شيء يكون هو المتصرف في العطاء والمنع.

والجملة الرابعة: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) كانت هذه الجملة مقدمة رابعة للمقصود؛ تجهيلا للذين هم ضد المقصود من المقدمات.

ثم جاء قوله: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) نتيجة المقدمات وهو المقصود بالإثبات، فإن الحقائق المتقدمة موجهة إلى المشركين، فبعد تقررها عندهم وإنذارهم على مخالفة حالهم لما تقتضيه تلك الحقائق أمر الرسول -ﷺ- بأن يوجه إليهم هذا الاستفهام الإنكاري منوعا على ما قبله [٣].

---

(١) سورة الزمر من الآية: ٦٣.

(٢) سورة الزمر من الآية: ٦٣.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤/٥٣-٥٦. بتصرف.

والآخر: تتابع مقاطع السورة، وعلاقة الآية الكريمة بالمقاطع السابقة عليها دلاليا.

فهذه الآيات الكريمة أكملت بناء الأمر بالعبادة، ففي المقطع الأول من السورة ورد قوله تعالى: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)[١]، (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)[٢]، وفي هذا المقطع ورد قوله تعالى: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ* وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ* بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)[٣].

وهكذا نجد كلا من المقطعين في السورة يكمل كل منهما الآخر[٤] الأمر الذي يبرز التماسك النصي بين آيات الذكر الحكيم.

---

(٦) قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾[٥].

تصور الآية الكريمة موقفا من مواقف تعنت مشركي مكة مع رسول الله -ﷺ- أثناء عقد ميثاق صلح الحديبية، إذ منعهم كبرياؤهم الباطل من الإقرار للنبي -ﷺ- بالرسالة، ودعتهم عصبيتهم الجاهلية إلى صد المؤمنين عن زيارة بيت الله الحرام، فما كان من النبي -ﷺ- وصحابته الكرام إلا أن تحلوا بالطمأنينة والوقار والثبات، وصالحوا أهل مكة دون إراقة الدماء.

سياق الآية الكريمة يدل دلالة قاطعة على الدلالة السياقية لكلمة

---

(١) سورة الزمر من الآية: ٢.

(٢) سورة الزمر الآية: ١١.

(٣) سورة الزمر الآيات: ٦٤-٦٥-٦٦.

(٤) الأساس في التفسير لسعيد حوى ٤٩٠٢/٩.

(٥) سورة الفتح الآية: ٢٦.

(الْجَاهِلِيَّةِ) فالمراد بها: ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الكفر بالله وعبادة الأوثان.

وهذه الدلالة مستفادة من دلالات التراكيب السابقة على كلمة (الْجَاهِلِيَّةِ) واللاحقة لها أيضا، فتستنبط من قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فالجعل هنا بمعنى: الإلقاء[١]، فإسناد الفعل إلى (الَّذِينَ كَفَرُوا) يشعرك بأن أنفتهم وغضبهم وعصبيتهم الجاهلية من تلقاء أنفسهم، وهو ما يتفق وكون الجهل واحدا من العوارض غير السماوية، فهو من مكتسبات الإنسان الشخصية، ناهيك عن أن إنكارهم واستكبارهم راجع إلى دفاعهم عن معتقداتهم الوثنية الباطلة.

كما تفهم من دلالة قوله تعالى: (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ) فالحمية: الأنفة والإنكار[٢]. وآثر النظم القرآني استخدام لفظ (الْحَمِيَّةَ) في الآية الكريمة لما له من ملامح تعبيرية تجسد حال مشركي مكة من غضب وأنفة وحفيظة، فقد ذكر كراع النمل لفظ (الْحَمِيَّةَ) في ألفاظ باب الحقد والغضب[٣].

وربط الجوهري بين الحفيظة الحمية والغضب بقوله: الحفيظة: الغضب والحمية[٤].

فضلا عما يمثله استعمال اللفظ من قيمة تصويرية للمشهد، وهذا ما تلمسه من تعليق أبي هلال العسكري على اللفظ بقوله: « الْغَضَب الَّذِي توجبه الحمية انْتِقَاض الطَّبْع بِحَال يظْهر فِي تغير الْوَجْه» [٥].

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٥/٦٤.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/٦٩٦٧.

(٣) المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل، تحقيق د/محمد بن أحمد العمري ص٣٥٨، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٤) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٣/١١٧٢ (حفظ).

(٥) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تح/محمد إبراهيم سليم ١/١٣٠، دار العلم والقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت.

وزاد ابن عاشور اللفظ وضوحا دلاليا، فقال: « الحمية: الأنفة، أي: الاستنكاف من أمر؛ لأنه يراه غضاضة عليه، وأكثر إطلاق ذلك على استكبار لا موجب له، فإن كان لموجب فهو إباء الضيم. ولما كان صدهم الناس عن زيارة البيت بلا حق؛ لأن البيت بيت الله لا بيتهم كان داعي المنع مجرد الحمية»(١).

وإذا تأملت في دلالة الجار والمجرور (فِي قُلُوبِهِمُ) تلمس قيمة موقعية الجار والمجرور في هذا التركيب الذي يكشف عن أن الأنفة تمكنت من نفوس مشركي مكة، والإنكار غطى على عقولهم فأصبحوا لا يرون الحق مع انه واضح، تحركهم عاصبيتهم الجاهلية التي أفقدتهم اتزانهم النفسي.

ومما يكشف عن الدلالة السياقية لكلمة (الْجَاهِلِيَّةِ) تكرار لفظ (حَمِيَّة) مع إضافته إلى كلمة (الْجَاهِلِيَّةِ)، فإضافتها ههنا لقصد تحقيرها وتشنيعها فإنها من خلق أهل الجاهلية، فإن ذلك انتساب ذم في اصطلاح القرآن كقوله تعالى: (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ)(٢)، وقوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)(٣)(٤). وهذا ما يبرز أهمية الدلالة النحوية المتمثلة في موقعية ودلالة الجار والمجرور وكذلك دلالة الإضافة في تحديد الدلالة السياقية للفظ (الْجَاهِلِيَّةِ).

أما على صعيد الدلالات اللاحقة لكلمة (الْجَاهِلِيَّةِ) فتكمن في قوله تعالى: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى) الذي يوحي بموازنة بين حال المؤمنين وحال مشركي مكة، فإذا كان مشركو مكة هم من تكلفوا الأنفة والاستكبار والإنكار، فإن الله – عز وجل– هو الذي ألهم رسوله والمؤمنين الطمانينة والثبات والوقار. قال الطبري مفسرا هذا

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩٣/٢٦.
(٢) سورة آل عمران من الآية: ١٥٤.
(٣) سورة المائدة من الآية: ٥٠.
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩٤/٢٦.

التركيب: « فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين»[١].

وبينما وصف مشركو مكة بالأنفة المشوبة بالاستكبار والغضب وروح الانتصار لمعتقداتهم الباطلة، تجد في المقابل تكريم صحابة رسول الله – رضوان الله عليهم– بصفة التقوى الدالة على إخلاص العبادة لله –عز وجل–.

والإلزام ههنا هو إلزام إكرام ولطف لا إلزام إكراه وعنف، وإلزام بر لا إلزام جبر[٢].

أما كلمة (التَّقْوَى) فهي كلمة الإخلاص وغيرها، وما يقيهم من النار[٣]. فكلمة التَّقْوَى يكون معها الاتقاء من الشرك [٤].

بيد أن اللافت للنظر في الآية الكريمة هو ذلك الربط الجميل بين معنى الجهل متمثلا في كلمة (الْجَاهِلِيَّةِ) ولفظ (الْحَمِيَّةَ) الذي يمثل واحدا من المعاني المذمومة لما يحمله من ملامح تعبيرية ممقوتة من أنفة واستكبار بالباطل وحفيظة وغضب.

وفي هذا إشارة إلى الصفات النفسية للشخص الموصوف بالجهل من استكبار لا موجب له، وسيطرة الغضب على النفس، وقرارات وأفعال نابعة من اتباع هوى النفس تفتقد الحكمة والاتزان النفسي.

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٥٣/٢٢.

(٢) لطائف الإشارات، للقشيري ٤٣١/٣.

(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٣١١/٩.

(٤) لطائف الإشارات = تفسير القشيري ٤٣٠/٣.

تعقيب:

يستنبط من الآيات التي ورد فيها الجهل بمعنى الشرك:

١. أن الدلالة السياقية للكلمة –محل الدراسة– قد تحددت من خلال دلالة الكلمات السابقة عليها واللاحقة لها أيضا.

٢. أهمية الدلالة النحوية المتمثلة في موقعية الجار والمجرور (في قلوبهم) في تحديد الدلالة السياقية كما في قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ)، ودلالة الإضافة كما في قوله تعالى: (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ).

٣. ارتباط ذكر معنى الجهل بالمعاني المذمومة على سبيل الاقتران كالتبرج كما في قوله تعالى: (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)، والحمية في قوله تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ)، أو على سبيل المجاورة في السياق كالفسق في قوله تعالى: (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ)، والرجس في قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

٤. رسمت الآيات الكريمة صورة صادقة لحياة الشخص الموصوف بالجهل، فهو يعيش في ضلال دائم لا يتورع عن ارتكاب المحرمات؛ لأنه لا يقوى على مجاهدة نفسه، **كما يتميز من غيره ببعض الصفات النفسية السلبية:**

أ– استكبار لا موجب له.

ب– سيطرة الغضب على النفس.

ج– قرارات وأفعال نابعة من اتباع هوى النفس تفتقد الحكمة والاتزان النفسي.

الخاتمة

خاتمة القول أن الحمد لله رب العالمين، وبعد هذه الرحلة التي قضيتها مع "اشتقاقات الجذر جهل ودلالاته في القرآن الكريم"، فقد تحددت قيمة هذا البحث في ثلاثة أمور جوهرية أولها: تتبع دلالات اشتقاقات الجذر جهل في النظم القرآني، وثانيها: إلقاء الضوء على المعاني التي ارتبط ذكرها بذكر لفظ الجهل وبيان أثرها في تحديد دلالة الاشتقاق والنص على السواء، وثالثها: الحديث عن التماسك النصي في الآيات ال كريمة .

- **هذا وقد تمخض البحث عن عدة نتائج أهمها:**

١- لما كان الجهل يمثل نقيصة من أقبح النقائص التي يمكن أن يتصف بها الإنسان؛ فقد تبرأ منه نبي الله موسى-عليه السلام-.

٢- يعد الجهل واحدا من العوارض المكتسبة (ضد السماوية) وهي العوارض التي يتصف بها الإنسان باختياره وهي سبعة: الجهل والسكر والهزل والسفه والخطأ والإكراه.

٣- لما كان الجهل واحدا من العوارض (ضد السماوية) ناسب أن يرتبط ذكره في النظم القرآني بذكر المعاني المذمومة على سبيل الاقتران تارة وعلى سبيل المجاورة في السياق تارة أخرى، فقد ارتبط ذكره بالمعاني الآتية: الهزء- الشهوة- اللغو- الظلم- الكيد- الفسق- السوء- الندم- التبرج- الرجس- الحمية.

٤- جاء اقتران ذكر الجهل بالمعاني المذمومة لتنفير المؤمنين من الجهل وتحذيرهم من ارتكاب أفعال الجهال.

٥- ورد معنى الجهل في القرآن الكريم بمعنى: ضد الحلم في ست آيات كريمة بنسبة ٢٥%، وبمعنى: ضد الخبرة في آيتين كريمتين بنسبة ٨,٣٣%،، وبمعنى: ضد العلم في سبع آيات كريمة بنسبة ٢٩,١٦%،، وبمعنى: الإثم في ثلاث آيات كريمة بنسبة ١٢,٥%،

وبمعنى الشرك في ست آيات كريمة بنسبة ٢٥% من وروده في النظم القرآني.

٦- ارتبط ذكر لفظ (جَهَالَة) بذكر (السُّوء) في ثلاثة مواضع في النظم القرآني على سبيل الاقتران، كما ارتبط ذكره بمعنى الندم على سبيل المجاورة في السياق.

٧- للسياق دوره البارز في تحديد الدلالة السياقية للكلمة المراد الكشف عن معناها في النظم القرآني من خلال دلالة الألفاظ والتراكيب السابقة عليها واللاحقة لها أيضا، وكذلك مناسبة الآية –موضوع البحث– للآية السابقة عليها.

٨- نَبَّهَ البحثُ على أهمية الدلالة الصرفية في تحديد الدلالة السياقية للكلمة؛ وذلك من خلال التعبير بصيغة المضارع (تَجْهَلُونَ) في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (٢)، وكذلك التعبير بصيغة المبالغة (فَعُولٌ) في قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٣).

٩- أكد البحث على أهمية الدلالة النحوية، وثَمَّنَ دورها في تحديد الدلالة السياقية للفظ، وظهر ذلك جليا في موقعية ودلالة الجار والمجرور والإضافة في (مِنْ دُونِ النِّسَاءِ) من قوله تعالى: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (٤)، وكذلك موقعية الجار والمجرور (فِي قُلُوبِهِمْ) في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى

(١) سورة الأعراف من الآية: ١٣٨.

(٢) سورة النمل الآية: ٥٥.

(٣) سورة الأحزاب من الآية: ٧٢.

(٤) سورة النمل الآية: ٥٥.

﴿ قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[1]، وكذلك موقعية ودلالة المعطوف (وَأَخِيهِ) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾[2]، وكذلك دلالة الإضافة في (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[3].

١٠- عرض البحث التماسك النصي في الآيات الكريمة التي ورد فيها اشتقاقات الجهل من خلال الترابط الدلالي بين اللفظ وسائر ألفاظ وتراكيب الآية الكريمة، كما أشار البحث إلى علاقة بعض الآيات بالآيات السابقة عليها، وهو ما يمثل التماسك النصي في أبهى صوره، وهو ما عبر عنه علماء اللغة بسياق السورة.

١١- الآيات الكريمة التي ورد فيها لفظ الجهل تحمل في طياتها توجيها من الله –تعالى– لعباده المؤمنين بالابتعاد عن نهج الجهال الحمقى، وعدم مقاربة أحوالهم؛ لأن الإنسان الموصوف بالجهل يعيش في ضلال دائم، يتلذذ بفعل الرذائل، فهو لا يتورع عن ارتكاب المحرمات.

١٢- رسمت الآيات الكريمة التي وردت فيها اشتقاقات الجذر (جَهِلَ) صورة صادقة لشخصية الجاهل، فهو يتميز من غيره ببعض الصفات النفسية السلبية.

أ- استكبار لا موجب له.

ب- سيطرة الغضب على النفس.

ج- قرارات وأفعال نابعة من اتباع هوى النفس، تفتقد الحكمة والاتزان النفسي.

---

(١) سورة الفتح من الآية: ٢٦.

(٢) سورة يوسف الآية: ٨٩.

(٣) سورة الفتح من الآية: ٢٦.

١٣- من خلال التأمل في الآيات القرآنية الكريمة التي وردت فيها اشتقاقات الجذر (جَهِلَ) يمكن استنباط الظلال الدلالية الهامشية للجهل وهي: السفه، والحمق، والطيش، والميل إلى الشهوة، والتسرع في تقدير الأمور، مما يسبب الخطأ الذي يعقبه الندم.

١٤- جاءت كلمة (الجاهلين) في القرآن الكريم بمعنى: السفهاء، وجاءت بمعنى: الذين يجهلون حكمة الله ومشيئته الأزلية، ووردت بمعنى: الآثمين، وكذلك بمعنى: المشركين.

١٥- تباينت الدلالات السياقية لكلمة (جَهَالَة) في النظم القرآني، فوردت بمعنى: عمل المعصية والإقدام عليها على بصيرة؛ طمعا في مغفرة الله في موضعين، كما جاءت بمعنى عمل القبائح من كفر أو معصية أو مالا ينبغي فعله إما لسوء معرفة بالله، وإما لغلبة الشهوة في موضع واحد، كما وردت بمعنى: الخطأ في موضع آخر.

وبعد

فلعلي بهذا أكون قد وفقت في دراسة موضوع "اشتقاقات الجذر (جَهِلَ) ودلالاته في القرآن الكريم" لافتا نظر الباحثين إلى أهمية البحث في معاني ألفاظ القرآن الكريم، راجيا الله العلي القدير أن ينفع بهذا البحث، وأن يجعله إضافة للمكتبة العربية، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفعني به يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد له رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة في اللغة العربية، المؤلف: سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة -مسقط- سلطنة عمان، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م)

٢-أحكام القرآن، لابن الفرس، تح/صلاح الدين بو عفيف د.ت .

٣-أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٤-الأساس في التفسير، لسعيد حوى النعيمي - دار السلام - القاهرة - ط/السادسة (١٤٢٤هـ)

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٨ هـ .

٦-بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، د.ت .

٧-البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .

٨- البرهان في علوم القرآن للإمام الحَوفيّ - سورة يوسف دارسة وتحقيقا، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، المؤلف:

علي بن إبراهيم بن سعيد، أبو الحسن الحوفي (ت: ٤٣٠ هـ)، اسم الباحث: إبراهيم عناني عطية عناني، تحت إشراف: السيد سيد أحمد نجم، الجامعة: جامعة المدينة العالمية –كلية العلوم الإسلامية قسم القرآن الكريم وعلومه، ماليزيا، العام الجامعي:(١٤٣٦هـ – ٢٠١٥ م).

٩–بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ن المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية –لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٣٨٣هـ).

١٠– تأويلات أهل السنة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥ م.

١١– تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ت .

١٢– تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين– بيروت، ط: الرابعة(١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م).

١٣– التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر –تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٤– التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م)، ط: الأولى،(١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) .

١٥- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ .

١٦- التفسير الحديث د/ وزة محمد عزت - دار إحياء الكتب العربية- القاهرة- طبعة: (١٣٨٣هـ) .

١٧- تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، ط: الأولى: (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) .

١٨- تفسير القرآن العزيز، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، ط: الأولى(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

١٩- تفسير القرآن، لأبي محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تح/ سعيد بن محمد السعد - دار المآثر - المدينة المنورة.

٢٠- تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين عبد السلام الدمشقي، تح د/عبد الله بن إبراهيم الوهبي - دار ابن حزم - بيروت - د.ت.

٢١- تفسير القرآن، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: الأولى،(١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

٢٢- التفسير الواضح، د/ محمد محمود حجازي – دار الجيل الجديد – بيروت – ط: العاشرة (١٤١٣هـ) .

٢٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) .

٢٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: الأولى.

٢٥- تفسير يحيى بن سلام، المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى،(١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م).

٢٦- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، (٢٠٠١م) .

٢٧- التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط: الأولى (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى(١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠م).

٢٩- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، المؤلف: القاضي عبد النبي بن

عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط: الأولى (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م) .

٣٠– الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تح/ أحمد البردوني، ود/ إبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة – د.ت .

٣١– جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تح/علي محمد البجادي، دار نهضة مصر، دت.

٣٢– الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، تح: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر– بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ .

٣٣– الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسين الحنبلي، تح/ رضوان مختار بن غربية – دار المجتمع للنشر والتوزيع – جدة– المملكة العربية السعودية – د.ت.

٣٤– دلالة السياق في القصص القرآني، د/ محمد عبد الله علي سيف العبيدي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة – صنعاء – الجمهورية اليمنية (١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م) .

٣٥– روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، د.ت.

٣٦– زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، ط: الأولى (١٤٢٢ هـ).

٣٧- صفوة التفاسير،المؤلف: محمد علي الصابوني،الناشر:دارالصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: (الأولى، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م).

٣٨- العين، للخليل بن أحمد، تحد/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي – دار ومكتبة الهلال، د.ت .

٣٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت :٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه- بيروت، ط: الأولى- ١٤١٦ هـ.

٤٠- غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني – بغداد، ط: الأولى(١٣٩٧هـ) .

٤١- الغريبين في القرآن والحديث، المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى(١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م) .

٤٢- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار بن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى (١٤١٤ هـ) .

٤٣- الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر .

٤٤- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، المؤلف: الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر. دمشق- سورية، ط: الثانية(١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م).

٤٥- كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف

الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) .

٤٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة (١٤٠٧ هـ) .

٤٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى (١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م) .

٤٨- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة (١٤١٤ هـ) .

٤٩- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تح: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: الثالثة .

٥٠- اللغة، لجوزيف فندريس، تعريب / عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص – مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٠م) .

٥١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤٢٢ هـ) .

٥٢- المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، تح الشيخ/ محمد حسن آل ياسين – عالم الكتب – بيروت- لبنان – (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

٥٣- مختصر تفسير ابن كثير، المؤلف: (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت –لبنان، ط: السابعة (١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م).

٥٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٥٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، تح / عبد الرازق المهدي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – د.ت .

٥٦- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .

٥٧- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، ط: الأولى (٢٠١٠ م) .

٥٨- معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر – عالم الكتب – ط: الأولى(١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) .

٥٩- معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٦٠- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، المؤلف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، عام النشر: [١٣٧٧ - ١٣٨٠ هـ].

٦١- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون - الناشر: دار الفكر، عام النشر:(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٦٢- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية - دار الدعوة - د.ت.

٦٣- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة(١٤٢٠ هـ) .

٦٤- من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د/عبد العزيز عبد المعطي عرفة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٦٥- موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي بن القاضي التهانوبي، تح.د/ علي دحروج .

٦٦- النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان- د.ت .

٦٧- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط: الأولى (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) .

٦٨- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد

بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: الأولى (١٤١٥ هـ) .

٦٩- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى(١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م).

فهرس الموضوعات

م	الموضـــوع	رقم الصفحة
	المقدمـــة	١٣٥٥
	التمهيد	١٣٥٧
	المبحث الأول: الجهل ودلالته ضد الحلم	١٣٦١
	المبحث الثاني: الجهل ودلالته ضد الخبرة	١٣٧٩
	المبحث الثالث: الجهل ودلالته ضد العلم	١٣٨٤
	المبحث الرابع: الجهل ودلالته الإثم	١٤٠٤
	المبحث الخامس: الجهل ودلالته الشرك	١٤١٤
	الخاتمة	١٤٣٢
	فهرس المصادر والمراجع	١٤٣٦
	فهرس الموضوعات	١٤٤٦